روايات عبير

فارس في الليل

WWW.REWITY.COM

مرموريـة

Sally MILLRAY

N° 649

روايات عبير

إنه سحر "باليرمو"

حيث إن كل ما به ليس سوى الجمال والترف.

لكن في هذا الإطار، إطار الأحلام، تواجه "مارين" قصة عجيبة.

كان في جماله مثل أحد سادة "فلورنسا"!

متعالياً جافاً مثل قائد، إنه "جان دي سيز".

لكن لماذا تخلى عن مهنته كعازف دولي مشهور؟

ولماذا الشرطة تزعجه؟

إن حياة وسعادة "مارين" تمت ذات ليلة مأساوية حيث هبت العاصفة على بحر هائج.

ثمن النسخة

لبنان	٢٥٠٠ ل.	قطر	٨ ريال
سوريا	٧٥ ل.	مسقط	٧٥٠ بيسة
الأردن	١ دينار	مصر	٥ جنيه
السعودية	٨ ريال	المغرب	٢٠ درهم
الكويت	٧٥٠ فلس	ليبيا	١ دينار
الإمارات	٨ دراهم	تونس	٣ دينار
البحرين	٧٥٠ فلس	اليمن	٢٥٠ ريال
U.K.	2£		

ISBN 9953-443-73-4

9 789953 443737

شخصيات الرواية

"مارين ريجين" : عازفة بيان.

"دون جوان" = "جان دي سيز" : موسيقار مشهور.

"إلين" : والدة "مارين".

"شارل" : زوج "إلين".

"جوزفين دي كرواي" : صديقة "جان دي سيز".

"ماجدالينا" : خادمة زوجة "أنطونيو".

"أنطونيو" : السائق.

"أوللا" : زوجة "جان دي سيز" الأولى.

www.ebook.com

الغلاف الأمامي

قصة عاطفية شائقة ، استخدمت فيها الكاتبة أسلوباً سلساً.

لقد ضحت الفتاة بحبها الكبير : حبها للموسيقى ، وأملها في الوصول إلى الشهرة ؛ من أجل سعادة والدتها.

هكذا كانت بداية القصة ، وخاتمتها أتت بحصاد مازرعته الفتاة مضاعفاً . لكن بعد مرورها بأحداث ومفارقات تبرز العديد من المواقف المثيرة.

والآن نتركك عزيزي القارئ، وعزيزتي القارئة مع أحداث رواية: "فالس في الليل"

الفصل الأول

لمست يد "مارين" أصابع البيان وكأنها تلاطفها . ثم – بكل وداعة– وضعت على الأصابع العاجية المفرش الوردي الذي كانت جدة الأم قد طرزته بالورد . وأخيراً ، أعادت غلق البيان بكل هدوء.

إنها نفس الحركات التي تقوم بها منذ سنوات كلما انتهت من عزف إحدى المقطوعات .

كانت هذه المرة تختلف عن غيرها؛ إذ إن المعتاد كان "إلى اللقاء" ، أما اليوم فهو "وداع" .

لاما كان ينبغي لها أن تدع دموعها تسيل، لقد عملت بقوة إرادتها على احتجازها في عينيها ذواتي الزرقة العميقة. وبحركة معتادة مررت الفتاة في شعرها الطويل الأسود يداً نحيفة ذات أصابع ضامرة ... يد عازفة بيان.

وهو ما لن تصل إليه أبداً وكانت لا توحي لنفسها به ! إنها حقاً تجيد العزف على البيان، لكن تنقصها هذه الموهبة التي لكبار الفنانين.

تناولت أسطوانة : رقصات الفالس لـ "شوبان" ، عزف "جان دي سيز" ، وهو من أمهر العازفين الفرنسيين، ومحبوبها أيضا. ثم هزت كتفيها؛ لا فائدة من أن تضعها في المسجل لكي ترى الفرق بين نفس الفالس الذي عزفته هي– هذه المقطوعة التي عزفتها لنفسها للمرة الأخيرة – وبين التي عزفها عازف البيان الشهير ! وكانت لا تعرفها كثيراً.

لا . لابد لها الآن أن تتعقل ، أن ترى الحياة من زاوية أخرى. اعتقدت أنها – في هذا اليوم الصافي من شهر حزيران (يونيو) – قد فقدت كل شيء : البيان الخاص بها، والدتها ، الحياة التي قضتها حتى هذا اليوم في هذا المسكن ذي الأثاث القديم ، ذي الأخشاب الحارة، والألوان الدافئة . في الواقع كان لابد أن تقول لكل هذا : الوداع.

لكنها تمردت على تشاؤمها:

"حقا أني أنانية، هكذا جاء تفكيرها كان ينبغي لي أن أبتهج لسعادة أمي كم تبدو سعيدة هذا الصباح ! في التاسعة والثلاثين من

عمرها ، لها الحق أن تستعيد حياتها.

إن "إلين" والدة "مارين" ، أرملة منذ عشر سنوات، لقد كرست كل هذه السنوات لابنتها التي تحبها إلى حد كبير . لكن منذ عامين- وفي الخفاء – كان هناك رجل في انتظار موافقتها بأن تكون له رجل كانت قد أحبته، ولكنها كانت رافضة فكرة وجود زوج أم لابنتها مادامت هذه الأخيرة صغيرة جداً، وسوف ترفض ، ولن تفهم ولن توافق على وجود بديل لوالدها في المنزل.

كانت "مارين" قد استنتجت تضحية والدتها من أجلها يوم عيد ميلادها التاسع عشر، ومنحتها "التصريح" بأن تتزوج ثانية.

"هانا الآن فتاة كبيرة" . هكذا قالت لها حينئذ .

وبالتأكيد ليس هناك ما يعوض هذه السنوات التي قضيتها معك، وهذه المودة المتبادلة التي كانت بيننا لكن هانت يا أمي مازلت شابة وجميلة، ولك الحق في حياتك كزوجة.

إني أعلم أنك تحبين "شارل" وهو يبادلك نفس الإحساس وينبغي لك أن تتزوجي

وكان الزواج قد تم في نفس هذا الصباح . في ابتهاجها وأثناء ما كانت تقبل ابنتها كانت "إلين" قد همست لها في الأذن : "شكراً ، وهذه الكلمة الوحيدة كانت قد كلفت "مارين" التضحية التي قامت بها. تضحية أكبر كثيراً مما كانت تتوقعها أمها؛ لأنها – في تعقل – كانت قد قررت ألا تعيش مع الزوجين الجديدين. كانت موقنة تماماً بأنها بكونها شابة فسوف تخرج وتخرج.

كانت حينئذ قد قالت ببساطة دون أن تتكلم عن المستقبل :

– سأقيم كوضع مؤقت لعدة شهور في الريف . وبعد ذلك سنرى. بالإضافة إلى أنك – أضافت ذلك ضاحكة – تعلقت بي كثيراً وأحسنت نشأتي؛ الأمر الذي سوف يفيدني ويساعدني على التصرف بمفردي !

كانت والدتها قد ترددت في البداية ، ثم ما لبثت أن وافقت ؛ كانت تفهم أن هذا الوضع أفضل لكل منهما، لكن كان هذا القرار مؤقتاً

بالنسبة لـ "إلين" بينما كان بالنسبة لـ "مارين" قاطعاً؛ نظراً لعزمها على ألا تكون عازفة بيان. كان – بالتأكيد – في وسع الفتاة أن تصبح أستاذة ممتازة ، لكن هذه الوظيفة لم تكن تناسبها .

كانت "مارين" تعشق الموسيقى، وكانت قد وضعتها في أعلى مرتبة، لاتجعلها تقنع بأن تكون معلمة تلقن السلم الموسيقي للأطفال.

من أجل ذلك ها هي – من خلال الإعلانات الصغيرة – تبحث عما قد يناسبها.

كانت والدتها قد سافرت إلى "إيطاليا" مع زوجها لرحلة زفاف : كانت ترغب في أن تغادر المنزل خلال ثلاثة أسابيع ، حتى يكون لهما عند عودتهما.

تساءلت مرة أخرى عما لها بالإضافة إلى شهادة "البكالوريا" ودراسة البيان. كانت أمها قد حرصت على أن تحصل على دراسة الآلة الكاتبة والاختزال . هذا بالإضافة إلى أنها تجيد التحدث بالإنجليزية بنفس الطلاقة التي تتحدث بها الفرنسية؛ لأن أسرة والدها كندية. فكان ذلك يسمح لها بالعثور على عمل كسكرتيرة أو بائعة. لمحت أنها – دون أن تنتبه – مازالت ممسكة بيديها باسطوانة "فالس" لـ "شوبان" .

وكانت على الغلاف صورة "جان دي سيز" أمام البيان: يدان طويلتان وقويتان تغطيان بسهولة مجموعتين من ثماني وحدات: كان يبدو- من البروفيل – متكبراً ، متعاظماً ، قاسياً ومع ذلك بدا ذا سحر عجيب. عندما كانت "مارين" صغيرة كانت الهدية الوحيدة التي تطالب والدتها بها هي اصطحابها إلى حفلاته عندما يقدم إحداها في "باريس" . وكانت "إلين" حينئذ تجعلها تخجل عندما كانت تداعبها قائلة:

– لابد أنك تحبينه!

كانت "مارين" تعتقد أن عازف البيان لا يتجاوز الخامسة والثلاثين من عمره ،كم كانت تحلم بمقابلته ذات يوم هي عازفة البيان المبتدئة. وهو الأستاذ المتخصص الموهوب . تنهدت، لقد فات سن الأحلام.

أمسكت بالصحيفة – في عزم- وأدارت ظهرها للبيان، وأخذت تقرأ

باب "وظائف خالية".

ولا وظيفة كانت تناسبها . خاصة عندما يطلب مكان في إحدى المقاطعات ،كل ما كان يطلب بكثرة هو: " فنيون" لمصانع ضخمة، أو أشخاص متخصصون في مجالات تجهلها.

فجأة انتفضت عندما لمحت أربعة سطور في جريدة الـ "فيجارو": "سكرتيرة تجيد اللغتين الإنجليزية والفرنسية ، تفرغ كامل لمدة ثلاثة شهور الصيف في "باليز" ، التربية الحسنة مطلوبة".

كان هذا يناسبها تماماً. وقد تكون الفرصة مواتية- عند عودتها إلى "باريس" - لمعرفة أي القرارات تتخذ . هذا بالإضافة إلى أن التربية الحسنة إجبارية، تثبت أن طالب هذا العمل لابد أن يكون صاحب مهنة حرة: كمحام أو طبيب بلا شك.

لأن التاجر سوف يطلب هجاءً سليماً وليس حسن المعاملة. ربما كان ذلك أفضل من كتابة فواتير.

ثم - الصيف في باليز، فهذا أشبه بإجازة وتجعلها متغربة؛ إذ كانت في احتياج إليها لكي تنسى حزنها، أعادت قراءة الإعلان : الطلب متفق تماماً مع معلوماتها ، ولا داعي للتردد.

*****

في الطائرة التي تقلها إلى "بالما" ، تساءلت "مارين" إذا كان هذا السفر حقيقياً، إنه اليوم الأول من شهر تموز (يوليو). كانت قد انقضت خمسة عشر يوما منذ أن كتبت للعنوان المذكور في الجريدة ، وكان الرد قد وصل إليها برجوع البريد. كانت قد ترددت بضع دقائق قبل أن تفتح الظرف ذا الطوابع الإسبانية، كان قد خيل إليها أنها تتوجه إلى هناك لاكتشاف مصيرها.

كانت تذكرة لـ" بالما" ترافقها كلمة صغيرة جداً في أسلوب ركيك لقد ارتبطت لمدة ثلاثة شهور. غير أنها كانت تجهل- في الحقيقة- مع من ولماذا. كان الخطاب مختصراً جداً بإمضاء: "جوزفين دي كرواي" ،

يفيد بان "صديقاً متغيباً في احتياج إلى سكرتيرة لفترة الصيف".

لم يكن هناك ما يشير إلى مهنة من ستعمل عنده، وفي قلق ، تساءلت - بعد فوات الأوان - إذا كان من العقل ، أن تقبل مكاناً تجهل عنه كل شيء.

كان من المؤكد أنه لو كانت أمها هنا، ما كانت تركتها ترحل في ظروف غير أكيدة على هذا النحو. كانت سوف تلزمها بطلب مزيد من المعلومات عن العمل الذي ينتظرها . وفي الواقع ، كل ما كانت تعلمه هو أنه سيكون لها مقر إقامة،وأنهم سيأتون إلى المطار لاستقبالها، واصطحابها.

والآن، وها هي قد وصلت تقريباً ، فهمت أنها تصرفت دون أن تفكر بالقدر الكافي.

إلى أين ستذهب؟ عند من؟ لم تكن لها أية فكرة مادامت لا تعرف حتى عنوان من ستعمل عنده.

سيأتون لاصطحابها من المطار.

من هم ؟ كانت تجهل هذا أيضاً. رئيسها ؟ زوجته؟ (إذاكان متزوجا) أصدقاء؟ خادم؟

أحست بالخجل إزاء مثل هذه السذاجة . من الممكن أن يكون هذا الرئيس نصاباً - مغامرا! أتت إلى ذهنها قصص (تجارة الرقيق التي تقرؤها في الصحف وفي الروايات السوداء . وا أسفاه! لقد فات الأوان للتراجع . بعد كل هذا ، لن يفيدها القلق أو تانيب الذات!

"ياه! هكذا فكرت "مارين" ، يجب أن أصنع حياتي . كنت مع أمي التي كانت تفكر في كل شيء من أجلي، كنت أحيا في شرنقة إلى حد ما."

أعلنت المضيفة في المكبر أنه قد بدأ الهبوط إلى "بالما".

كانت أحجام المباني تبدو أكبر فأكبر كلما اقتربت الطائرة من الأرض التي تغطيها أبراج صغيرة

تعلوها عجلة ضخمة ذات أجنحة صغيرة يخترقها سهم مثل القلب. كانت أشبه بطواحين الهواء، ومع ذلك ليست هكذا. منظر جميل بقدر ما هو عجيب . عندما شاهد جار "مارين" أنها مرتبكة ، وضح لها:

– محركات ، يوجد منها العديد على الجزيرة . الهواء يحرك هذه العجلات الضخمة التي تشاهدينها – منتصبة نحو السماء– وتعمل أثناء دورانها على استخراج الماء من الآبار.

أمر خارق . لم يسبق لـ "مارين" مشاهدة مثل ذلك؛شعرت بانها تدخل في عالم آخر.

وها هي الطائرة قد وصلت إلى الأرض. والركاب يتأهبون للنزول . كانوا مرحين وهذا ما لاحظته الفتاة. لاشك في أنه بعد الضباب في "باريس" – كانت قد سافرت تحت المطر– كانوا يتجهون نحو الشمس، وهذا البحر الذي يغرق الشواطئ وهم في كامل السعادة: إنه البحر المتوسط.

شعرت بالأسى عندما كانت متجهة نحو قاعة المطار كيف ستعرف الشخص الذي سيحضر لاصطحابها؟ لقد تحققت– وهو أكيد – أنها أثبتت أنها تصرفت بمزيد من التهور. ولحسن الحظ، أنها تعرف اللغة الإسبانية وهي تأمل أنها ستعرف كيف تتصرف. لكن – وقد عملت على تبديد مخاوفها – شاهدت عند الخروج من المطار رجلاً في الأربعين من عمره ، متين البنية، غير فارع، وعلى محياه ابتسامة ظريفة ، ممسكا بيده ورقة من الكرتون مكتوباً عليها : " الآنسة "مارين ريجين".

اقترب منها قائلاً باللغة الإسبانية:

الآنسة "ريجين"؟

وفي الحال تناول حقيبتها ، ومشيراً بيده إلى الـ "فولفو" الميتاليك

وكانت مركونة بالقرب من المطار:

– صباح الخير يا آنسة "دون روان".

فهمت أن المقصود هو اسم صاحب العمل وهو "دون جوان" تذكرت ما لها من معلومات ضئيلة عن هذه اللغة، وسألته عن اسم أسرة "دون روان" وكذلك عن مهنته . مط الرجل شفتيه علامة يأسه وقال:

– نو كومبرندو . ماجوركين.

مما يفيد أنه لا يفهم اللغة الإسبانية الرسمية . إنما فقط لهجة جزيرة "ماجورك" وهي تختلف عنها كثيراً . لا يهم ، ستعرف عند وصولها

فيم – ومع من خاصة – ستعمل

هاهي السيارة تخترق الآن "بالما" . أطلقت "مارين" صرخة إعجاب : كانت تبدو على اليمين ، عملاقة ، على سماء زرقاء، كاتدرائية رائعة ، تهيمن على المدينة القديمة . وعن اليسار البحر – من نفس لون السماء– تتارجح عليه سفن عديدة من مراكب الصيد البسيطة إلى اليخوت الفاخرة.

ثم ظهرت سفينة ذات ثلاثة صوار، وسط الخليج ، شامخة بجمالها ، وقدرتها وعظمتها.

أشار الماجوركي بيده إلى الفتاة :

– الـ "ريه".

ظنت "مارين" أنها خاصة بالملك؛ لأنها تعلم أن هذا الأخير عنده قصر في "ماجورك" حيث يأتي لقضاء الإجازة .

لكن ها هي السيارة قد غادرت عاصمة الجزيرة . اخترقت ضواحي يتزاحم فيها السياح من كل الدول، ومن كل الطبقات في شورت وتي شيرت. وهناك المطاعم تعلن قوائم الطعام بالألمانية،و الإنجليزية والإيطالية، وحتى السويدية، وكذلك النرويجية.

ثم فجأة ، انعطفت السيارة في طريق محاط من الجانبين باشجار اللوز والخروب؛ ريف كله سحر قد خلا من الناس. مرت بهما عربة صغيرة يجرها حمار وتقودها سيدة مسنة ، قامت بتحيتهما باللهجة "الماجوركيّة".

كان التغيير شاملاً بين أحياء السياح وهذا الريف الطبيعي إلى حد جعل "مارين" تدهش وتسحر في آن واحد . كانت المنطقة موحشة وها هي فكرة أنهما ربما يتوقفان في هذه الأحياء المكتظة بالسكان، قد أخافتها.

لكن كم كانت دهشتها ، عندما انتهى الطريق عند ميناءأصغر من خليج "بالما" ، لكنه قد يكون أكثر بهجة للنظر بهضابه العالية التي تحيط به.

هناك أيضا اليخوت والعبّارات ملتصقة ببعضها.

دهشت "مارين" عندما لاحظت أن العديد من لافتات المحلات كانت مكتوبة باللغة الفرنسية.

WWW.RIWAYA.COM

وكان الـ "ماجوركي" يشرح لها:

– آكي، آندرا.

ظنت أنه لابد أن الفرنسيين الذين لهم أملاك في الجزيرة تجمعوا حول "آندرا" ، هذه القرية الرائعة الممتعة لابد أنها ليست بعيدة عن منزل "دون روان" . ها هو القلق قد عاودها على الرغم من أنها كانت قد نسيته بفعل سحر الرحلة : ترى من ستقابل ؟ أهو رجل مسن أم شاب ربما تكون له عليها نظرات أكثر من أن يملي عليها الخطابات المطلوبة؟ تساءلت لمرة أخرى إذا كانت قد أخطأت عندما وافقت على هذا الوضع في اندفاع.

كان الطريق الذي سلكته السيارة يتعرج خلال أشجار الصنوبر المنحدرة نحو البحر. وفي الأسفل، كانت تتلألأ الأمواج.

وإن كان المكان يبدو جميلاً إلا أنه كان خالياً تماماً من الناس، قفراً.

فجأة ظهر منزل أبيض ذو خطوط منسجمة يبدو متفقاً مع المنظر الريفي الجميل المحيط به.

– "أنطونيو" – هكذا ذكر الماجوركي اسمه إلى الفتاة – أوقف السيارة أمام:

الـ "فينكا" التي لـ "دون روان" هكذا أردف في كبرياء، وكأن هذا المكان الرائع ملكه.

نزلت الفتاة من السيارة وقلبها يخفق ، ثم اتجهت نحو الباب .أخيراً ستعلم من هو رئيسها العجيب.

الفصل الثاني

مسحت "مارين" حجرتها بنظرة واحدة : فهي رائعة في بساطتها، حوائط مطلية بالجير ، أريكة كبيرة مغطاة بغطاء سرير ماجوركي مطرزا بزهور متعددة الألوان ، وبعض الأثاث الإسباني عملي وبسيط، لكن ذو ذوق رفيع . وعلى الكومودينو كانت توجد قطعتان من الفخار تمثل إحداهما رجلا راكباً على حمار، والأخرى سيدة ذاهبة إلى السوق على

نفس الدابة؛ وكلتاهما بالألوان : الأبيض والأحمر والأخضر . ولما كانت الفتاة قد نظرت إليهما بدهشة ،وانطلقت في الضحك "ماجدالينا" ، زوجة "أنطونيو" تناولت واحدة منهما وقاربتها من فمها . خرج منها صفير شديد :

– "إستا آن سيرويل" .

وما معناه أنهما ببساطة – على الرغم من مقاسيهما – صفارات "سراويل" أطفال. ثم وضحت لـ "مارين" – بمزيج من الإسبانية والماجوركية أن "دون جوان" – وكانت تنطق به "دون روان" – يحب كثيراً هذه اللعبة البدائية ، وأنه موجود منها عدد كبير في كل أنحاء المنزل.

كانت "ماجدالينا" تعتبر الطيبة مجسدة. وهي سمراء ذات عينين زرقاوين . إنها هي التي استقبلت الفتاة، وأعلنت لها أن "دون روان" متغيب لمدة ثمان وأربعين ساعة. اليوم هو "سابادو" "السبت" ولن يعود إلا "لانس" "الاثنين" . غير أنه كان قد قال قبل سفره: إن الفتاة ينبغي أن تعتبر المنزل منزلها، وأن تستريح في انتظاره.

واصطحبت الماجوركيّة حينئذ "مارين" أمام حمام سباحة محفوراً حول صخرة وسط أشجار الصنوبر . كما كانت قد وضحت لها تارة بالكلمات ، وتارة أخرى بالإشارات والحركات أنه في إمكانها أن تستحم فيه بقدر ما ترغب.

ها هي الآن بمفردها في حجرتها . حائرة . ماذا ستفعل بهذه العطلة الأسبوعية المنفردة في جزيرة لا تعرف فيها أحداً؟ وعلى الرغم من جمال هذا المنظر الريفي الجميل كانت تشعر بأنها تائهة ، بعيدة عن كل ما هو غالٍ بالنسبة لها. ترى ماذا كانت أمها تفعل في نفس اللحظة؟ لاشك– على ميدان "سان ماركو" في "فينيسيا" – في رحلة عشاق. أطلقت زفيراً : لقد انتهت طفولتها؛ لقد وجب عليها أن تتحمل – وبمفردها – مسؤولياتها كفتاة رشيدة

ومع كل ، مادام المنزل مفتوحاً كله لها فلتتعرف على هذا العقار الذي سيكون ملكاً لها خلال ثلاثة شهور. واربت باب حجرتها . وساد

www.rewity.com

سكون شمل المسكن ؛ لاشك في أن "ماجدالينا" و"أنطونيو" كانا في الحجرات المشتركة . بدا لها المنزل واسعا بحيث يمكن أن يكون فيه جزء مخصص للعاملين بالمنزل.

عن اليسار وعن اليمين ، كانت أبواب تفتح على الدهليز، لم تجرؤ على فتحها : لابد أنها أبواب حجرات . كما أن الدهليز نفسه كان ينتهي عند حجرة ،هي الصالون بالتأكيد، وهو ممتد بشرفة يمكن منها مشاهدة البحر من خلال الأقواس التي تحيط بها.

فكرت "مارين" بأن في إمكانها الولوج إليها في غير فضول.

لم تتمكن الفتاة من الامتناع عن إطلاق صيحة دهشة وإعجاب : بيان يشغل الجزء الأكبر من الحجرة! هل رب المنزل من هواة الموسيقى، أو أنه وجد أن هذا البيان الكبير يجمل صالونه؟ كان بالنسبة للفتاة مثل تواجد صديقة. أصبحت لا تشعر بالغربة في هذا المنزل ولا تشعر بانها مجهولة فيه ومعزولة . كان هناك ، في هذا المنزل ما قد أسعد طفولتها وما كان – طوال فترة شبابها– أفضل صديق لها .

اقتربت منه بإجلال. كان – أي البيان – أكثر– من الجميع– من رحب بها . مرت برقة بيدها على الأصابع الأبنوس التي تصدر الأصوات البديعة، والتي استخدمها أساتذة الموسيقى في تكوين أنغام مازالت تتردد في أذنيها. ومع ذلك كانت لا تجرؤ على فتحه في غياب صاحبه "مالكه" ؛ لأن هذا التصرف يعتبر في نظرها عدم تحفظ .

اكتفت بأن يسمح لها "دون جوان" أن تستخدمه من حين إلى آخر ولو عندما يتغيب.

*****

وها هي عطلة نهاية الأسبوع قد بدت لـ "مارين" أقصر مما كانت تخشاه . وهذا بفضل "ماجدالينا" التي جعلتها تكتشف بين الوجبات الفاخرة التي تقدمها إليها هذه الأنواع من الجمبري الكبير الحجم، حمام السباحة، والنزهات في غابات الصنوبر المحيطة بالمنزل، والنازلة في

انحدار هادئ نحو البحر المتوسط. وعندما استيقظت في الساعة الثامنة صباح يوم الاثنين – بعد ليلة كان النعاس قد فارق فيها جفونها– لم تتمكن الفتاة من السيطرة على قلقها: ستتعرف على رئيسها . تخلت عن الجينز الأزرق الذي كانت ترتديه يومي السبت والأحد ،وكانت تجده غير مناسب، ارتدت فستاناً رزيناً بلون أزرق مثل عينيها . وقفت مترددة أمام المرآة تراقب شعرها الحريري الأسود المسترسل على كتفيها مثل شال طبيعي. كان يحيط بوجهها مظهرا شكله البيضاوي ، فكانت بذلك تشبه عذراء "فلورنتين" للقرن السابع عشر. من الأفضل عقده في شينيون . فعملت على جذبه إلى أعلى عنقها في تسريحة تجعلها تبدو أكبر سناً وتتناسب تماماً مع وضعها كسكرتيرة.

في زبها هذا، وفي هذه التسريحة وبدون مساحيق على وجهها وقفت تنظر إلى نفسها في المرآة وكادت تنطلق في الضحك عندما شاهدت هذا التغيير: إنها تمثل تماماً منظر السكرتيرة النموذجية. لكن ، الآن وها هي مستعدة ، ما الذي عليها أن تقوم به؟ أن تنتظر في حجرتها إلى أن يتم استدعاؤها أو تتوجه إلى الصالون وبيدها كراسة وقلم حبر؟

عملت "ماجدالينا" – بدخولها عندها – على انتزاعها من ضيقها.

– "دون روان" إس آكي.

– تبعت الفتاة الماجوركية التي كانت تشير لها بالذهاب معها. لم يبد عليها أي ضيق لوجود رئيس العمل في مسكنه . لابد أن السيدة الطيبة شعرت بما يلحق بالفتاة من قلق ، لكنها طمأنتها مبتسمة:

– "دون روان" ماي أمابل.

إذا كان هذا الرئيس العجيب "محباً جداً" كما أكدت "ماجدالينا" ، إذن لا داعي للقلق الذي هي عليه.

تراجعت الماجوركية لكي تدع الفتاة تدخل حجرة صغيرة تتعارض بما فيها من أثاث مع باقي المنزل. إذ إن كل ما بها حديث، من الآلة الكاتبة الكهربائية إلى حافظة الملفات وهو آخر طراز ؛ المكتب نموذج مناسب لرجل أعمال. في بادئ الأمر – وقد خطفت الشمس بصرها– لم تر

الفتاة إلا شخصاً من ظهره ينظر من النافذة ، نحيفاً ولكن ذا عضلات شخصاً رياضياً ، كان رئيس "مارين" لا يتجاوز الخامسة والثلاثين من عمره . شعره مصفف على طريقة نماذج "تيتان" ، شعر يحيط بالوجه الذي رأته الآن جيداً لأنه التفت إليها: وجه متعاظم ، إرادي مثل مغامر إسباني(من الذين غزوا أمريكا). شعرت "مارين" بإحساس غريب: لقد سبق لها رؤية هذا الشخص .

أردف في مودة:

– صباح الخير يا آنسة "مارين" ،على ما أعتقد . إني سعيد بمعرفتك. أتعشم ألا تكوني تضايقت أثناء عطلة نهاية الاسبوع .

ها هو الآن في مواجهتها، وفهمت لماذا قد بدا منظره مألوفاً لها. إن رئيسها – بالقدر الذي تمكنت من الحكم به– يشبه بغرابة عازف البيان "جان دي سيز" .

وقفت تنظر إليه في دهشة شديدة حتى إنه بدوره "دون جوان" مال نحوها؛ لأنه ذهل هو أيضاً.

حينئذ، لم تجد أدنى شك في أنه هو الموسيقار بنفسه وليس مجرد تشابه في الملامح . كم حضرت حفلاته بما يكفيها لكيلا تخطئ في الحكم : الرجل الموجود أمامها ، الذي هي الآن سكرتيرته، ليس سوى محبوب طفولتها ، أشهر الموسيقيين:

"جان دي سيز" . بذلك أصبح بيان الصالون واضحاً.

من شدة تأثرها شعرت الفتاة بأن الحمرة تعلو وجهها حتى منبت الشعر.

تمتمت:

– سيدي

لكن ها هو وجه الرئيس المحب قد تبدل ؛ إذ بدت عليه ثورة وإن كان يعمل على إخفائها.

سألها في برود:

– أود معرفة كيف تعرفينني . أنا لست "آزنافور" ولا "جوني هوليدي" حتى إن كل الفتيات تعرفني. وبعد؟

من شدة دهشتها وقد فوجئت بهذا التغير لم تتمكن الفتاة :إلا من أن تتمتم:

– إني أعشق الموسيقي، ولقد تابعت الحفلات التي أقمتها سيادتك في "باريس" .

شعرت – بحاستها – بأنه لا ينبغي لها أن تخبره بأنها عازفة بيان، قطب حاجبيه كأنه لم يسر لذلك.

قال بسرعة وفي جفاف:

– على أي حال تذكري دائما ذلك .إني هنا لست "سيدا" أنا هنا – بالنسبة للجميع– بما فيهم أنت– على الطريقة الإسبانية "دون جوان" ليس أكثر من ذلك.

ثم أضاف ساخراً:

– ولا تتحدثي معي عن الموسيقى . ضعي في اعتبارك أنك تعملين مع رجل أعمال، وهذا أفضل لكل منا. كما أن الخطابات التي سوف أمليها عليك ستكون بهذا الأسلوب فقط. وقبل أن يدع للفتاة الفرصة لكي تتمالك نفسها أضاف:

– لقد أشرت في ردك على إعلاني إلى أنك تجيدين اللغتين . أرجو أن تكون حقيقة، وأن تكون إجادتك للإنجليزية بقدر ما هي للفرنسية . مادمت تعرفين لقبي، وجب أن تعلمي أني أقدم حفلات عبر العالم كله. وبما أن الإنجليزية هي الآن اللغة العالمية إذن أغلب مراسلاتي تتم بها. ودون أن يستمع إلى "مارين" وهي تتمتم "والدي كان كنديا إنجليزياً." ، كان قد بدأ في الإملاء عليها باللغة الإنجليزية.

– عزيزي "جون"

يسعدني إحاطتك علماً .

ولا حتى في الأحلام ، كانت "مارين" تفكر في أنها سوف تصبح ذات يوم سكرتيرة "جان دي سيز" ، ولا أن تتخيل أن عازف البيان بمثل هذا المظهر الكريه .لم تتوقف الفتاة– وهي الآن بمفردها في المكتب لكتابة الخطابات على الآلة – عن تكرار ما تم لها في أول مقابلة.

"حسنا- هكذا فكرت في مرارة - إذا كانت "ماجدالينا" ترى أن "دون جوان" شخص ودود، محب، فإني أتساءل عند من خدمت قبله ! رجل كهفي ؟."

وهاهي بعد السرور العظيم الذي سيطر عليها ، عندما علمت أنها تعرفت على الموسيقار المشهور، تلا ذلك حزن عميق قد يصل إلى حالة يأس.

ماذا ، هل هذا الرجل الجسور هو "جان دي سيز" في نظر "مارين" ، عازف البيان- بقدر ما هو مشهور- ينبغي له أن يكون رجلاً نموذجياً . لم تتوقع أن تتخيله .وقد غيرته الموسيقى - رجلاً حساساً مثل "مازوركا" لـ "شوبان" ، عميقاً مثل مقطوعة لـ "بيتهوفن" ، مبتسماً مثل "سونيت" لـ "موزار".

- والآن - في مرارة لا تعمل على إخفائها عن نفسها- تحققت الفتاة من جسامة خطئها. "بالتأكيد - هكذا فكرت مرة أخرى - إني في حاجة إلى الاحتكاك بالحياة الحقيقية . كم كنت أراها مثالية وهي بعيدة كل البعد عن الحقيقة".

أطلقت زفيراً وهي ترفع من الآلة الخطاب الذي كتبته باللغة الإنجليزية. لحسن الحظ ، أنها تجيد لغتها الأبوية ، ولأن "جان دي سيز" يتكلمها بطلاقة ، سوف يؤاخذها على أبسط غلطة وبدون تساهل لقد تحققت تماماً من ذلك ، كما أن لها إحساساً بأنه لا يتمنى سوى شيء واحد : أن يمسك عليها خطأ لكي يفصلها.

- ومع ذلك ، كانت مدينة له بهذا العدل : بعد دخوله التهجمي في الموضوع ، كان "جان دي سيز" قد بدا بعد ذلك أقل نفوراً وأكثر مودة.

- عليك التواجد بالمكتب في الساعة العاشرة من صباح كل يوم.

- هكذا كان قد أعلمها بإيجاز . إذا كان لدي خطابات أمليها عليك فسوف تجدينني هنا. وإن لم أكن متواجدا، برجاء البقاء في المكتب حتى ساعة الغداء أي حتى الساعة الثانية؛ لأننا نتناول وجباتنا حسب التوقيت الإسباني. من عملك أيضاً الرد على التليفون والا تشركيني في اي اتصال

هاتفي ، حتى لو قيل لك إنها مكالمة شخصية . لأن أصدقائي يعلمون أنهم إذا أرادوا الاتصال بي فليكن في فترة بعد الظهر إذ إن الفترة الصباحية مخصصة لاتصالات العمل. وسيكون عليك أيضاً الاتصال بمن أخبرك بهم، وسيكون ذلك غالباً باللغة الإنجليزية . لقد لاحظت أنك تجيدين حقاً هذه اللغة وبذلك لن تجدي في ذلك صعوبة . وعندما تغادرين المكتب - إن لم تكوني قد رأيتني - فاتركي لي على مائدة العمل قائمة بالأشخاص الذين اتصلوا بي مع الرسائل التي تركوها.

- بعد الغداء ستعملين على كتابة ما بقي من خطابات .

- وستكونين حرة طوال فترة بعد الظهر هذا - وهو بديهي - عدا إذا كنت في حاجة إليك. لكن في هذه الحالة سوف أخطرك في الصباح.

- جاء رأي "مارين" عن "جان دي سيز" أنه ليس فقط شخصاً مشهوراً خارقاً، لكن أيضاً شخصا منظما. ألم يكن ذلك ضروريا إذا كان يرغب في الدفاع عما يتركه له الجمهور من تآلف، ضد الاتصالات المستمرة من قبل الصحفيين ، المعجبين، وخاصة المعجبات؟

ثم تردد عازف البيان قبل أن يضيف :

- ستتناولين وجباتك في صحن الدار أو في صالون صغير ملحق به، حسب رغباتك . أما عن نفسي فنادراً ما أتناولها هنا، وعندما يحدث لي ثم أبدي إشارة مبهمة . لكن "مارين" ترجمتها :"إني لا أميل إلى تناولها مع سكرتيرتي".

وفي اللحظة التي- بعد أن أملى عليها البريد- كان متاهباً فيهاللانصراف ،التفت نحو الفتاة.

وبنفس اللهجة ، أضاف:

- في إمكانك استخدام السيارة التي أحضرك فيها "أنطونيو" من المطار ، حسب رغبتك؛ لأني لا أستخدم سوى الـ "مرسيدس"

- آه! هكذا كان قد أضاف أيضاً- يوجد أيضا قاربان آليان راسيان عند الخليج ، أسفل المنزل. إذا كنت تحبين البحر، ففي إمكانك استخدام الأصغر، الـ "زودياك". إنه قارب ممتاز بدليل أن حرس السواحل

يستخدمونه. ولا يشكل أية خطورة . كما أن له موتوراً قوته اثنان وعشرون حصاناً وهو يسمح لك بسرعة لطيفة. أنصحك بزيارة الجزيرة سواء أكانت أرضاً أم بحراً أثناء فترة إقامتك هنا. ستشاهدين كم هي جميلة ومتغيرة هذا بالتأكيد إذا كنت حساسة لسحر المناظر الريفية الجميلة والشواطئ الصحراوية! وإذا كنت تفضلين – هكذا أضاف وفي صوته نبرة ازدراء – الأماكن المزدحمة ، فعندك الـ "آرينال" التي لا تبعد عن "بالما" سوى عدة كيلو مترات. حينئذ كانت الفتاة قد أجابت إذ طعنت في الصميم :

– إني أميل إلى المناطق الخالية – "دون جوان" . لأني أحب الوحدة. وبما أنك سمحت باقتراحها عليّ فسوف أستخدم سيارتك ، وقاربك.

لم يجبها واكتفى بتحيتها بإشارة من رأسه قبل الخروج .وأثناء ما كانت "مارين" تضع ورقة كربون بين الورقتين اللتين ستضعهما على الآلة ، أخذت تعيد التفكير في هذه المحادثة . كان من الصعب بالتأكيد الحصول على عمل أكثر متعة من هذا، ويمنحها راحة وأوقات فراغ بهذا المقدار. وأندر من ذلك أيضا أن يضع رئيس عمل سيارة وقارباً تحت تصرف سكرتيرته! لابد أنها مقابل كل ذلك – في قمة السعادة . لكن كل ذلك كان قد قيل بلا حرارة إنسانية، بنفس النبرة التي أعلن بها "جان دي سيز" تعليماته . لم يكن فيها أي أثر للطف في صوته.

ومع كل – هكذا فكرت – لماذا كان ينبغي أن تتواجد المودة؟ لقد رآني اليوم للمرة الأولى . سوف يختلف الوضع عندما يعرفني أكثر".

لأن هذا الفتور الذي بدا في حديثهما معاً كان عكس ما تعبر به موسيقاه ألم يكتب أحد النقاد – متحدثاً عن العازف الشهير : "إن نبضات قلب الموسيقار تسمع في كل مقطوعة يقوم بعزفها"؟

نعم، كان هذا هو ما صنع منه أشهر الكل؛ هذه الصلة بالمستمع ، هذه العاطفة التي ينقلها إليه من خلال الأنغام الصادرة من تحت أصابع عازف البيان.

إنه يبدو– بالتأكيد– مستبداً – لا بل منفرداً جسوراً. وقد تكون الحساسية التي له كعازف مسؤولة عما يصدره من تقلبات مزاجية.

تذكرت أن "شوبان" كان متأنقاً ولا يحتمل المضايقات وأن نوبات الثورة لدى "بيتهوفن" كانت شهيرة . لكن كان من المستحيل أن يكون "جان دي سيز" فقط هذا الرجل الفاتر الثلجي الذي تقابلت معه هذا الصباح. كانت قد تساءلت عما إذا كانت سوف تجرؤ ذات يوم على الاعتراف له بإنها – في وضوح– هي أيضا عازفة بيان.

– على أي حال أليست قمة السعادة في انتظارها.؟ وأمام هذه الفكرة – أنارت وجهها ابتسامة مشرقة، وأعادت إليه جماله الذي كان الشيتيون قد خفض من قدره. سوف تسمعه فيما بعد وهو يعزف ..و.

– سواء رضي أم لم يرض – لها ولها وحدها.!!

حتى وإن لم تكن مقبولة في قاعة الموسيقى، فإن المنزل معد بحيث إنه– من كل الجوانب – من الممكن سماع البيان. سوف تحيا بالقرب من محبوبها . أن تدخل معه إلى محراب الموسيقى. وإزاء هذه الفكرة، تمالكت نفسها حتى لا تقفز من السرور.

وبينما هي مستسلمة لغبطتها ، إذا – فجاة – بشيء يأتي إليها عجيباً ، غريباً ويحول سرورها إلى فضول قلق. لقد تضايق "جان دي سيز" لأنها عرفته . ما هو السبب الذي يدفعه إلى الرغبة في الاحتفاظ بالسرية حتى نحو سكرتيرته؟ حتماً ، كان لابد لهذه الأخيرة من معرفة من هو.

اعتراها نفس الإحساس العابر الذي شعرت به قبل الآن ، عندما تضايق لكلمة "سيد" : كان يفضل ألف مرة الحصول على سكرتيرة، ليست الموسيقى بالنسبة لها سوى "بوب" أو "ديسكو" ولا تكون قد سمعت عنه وعن شهرته لكن لماذا؟

الفصل الثالث

لقد مر الأسبوع بالنسبة لـ "مارين" دون أن يمليها "جان دي سيز" أقل خطاب . أوضح ما كان في عملها ، كان ينحصر في تلقي اتصالات من

كل البلاد. وكانت العبارة مشابهة دائما. " هل السيد سيكون متفرغاً لتقديم حفل موسيقي في الفترة ...؟" في "طوكيو" في " فيلادلفيا" . في "بيونس آيرس" في "مكسيكو". في "لندن".

حتى إنها تلقت ذات يوم اتصالاً من "بكين" . وقد اتخذت الصين الشعبية سمة غريبة ، " كانت ترغب في الاستماع إلى أشهر عازفي البيان المعاصرين ؛ هذا إذا سمح وتنازل بمنح هذا الشرف العظيم لأبسط المعجبين به. وكان هذا يقال بلهجة إنجليزية سليمةوبادب بالغ؛ حتى إنها شعرت بان- على بعد آلاف من الكيلو مترات عن "بالما" - محدثها ينحني باحترام في كل مرة ينطق باسم "السيد".

وكما كان "جان دي سيز" قد أوصاها ، كانت تترك له على مائدته قائمة المتصلين مع ملخص ما قيل لها بدون تغيير ، كانت تجدها في اليوم التالي وعليها خطوط بالطول والعرض ،مع التنويه : " إذا تكرر الطلب ، الإحاطة علماً بانه ليس لدي مواعيد حرة قبل ثلاث سنوات . الأمر الذي كان لا يدهش الفتاة إلا قليلا . إنها خير من يعلم بان نتيجة هذا العازف الكبير محملة بالمواعيد ، وأن تاريخ الحفلات محجوز، أحياناً قبل الموعد بعامين أو ثلاثة.

زادت دهشتها عندما رأت "جان دي سيز" يدخل قلبها ، ممسكاً بيده الورقة التي كانت قد أشارت له إليها في الليلة الماضية بان الـ "كارنيجي" من "نيويورك" قد أفاد بأن موعد الأستاذ سوف يقبل حتى لو لم يكن لديه وقت فراغ إلا بعد خمس سنوات،أو إذا لزم الأمر تعديل برنامج الحفلات في قاعة الاحتفالات الموسيقية الشهيرة.

محاولاً السيطرة على غضبه قال "دون جوان":

- كيف ينبغي لي أن أخبرك بانه عليك الرد دائما بأني لست متفرغاً؟ مهما كان التاريخ المقترح أو القاعة التى تنتخب بعد حضوري.

ثم كرر ما قاله مركزاً على الكلمات :

- أنا لست أنا لست حراً. واضح وسهل الفهم ، أليس كذلك ؟ إذن لا تتظاهري بالغباء.

ثم أغلق الباب قبل أن تجد الفتاة وقتاً للرد. ظلت واقفة ، حائرة، تنظر إلى الباب المغلق. ما الذي دهاه؟ وما مدى مسؤوليتها- هي - عن عروض تقدم لها ؟ من جانبها كانت لا تستطيع أن تأخذ على عاتقها رفض الـ "كارنيجي" أشهر قاعة في العالم. بدورها- أمام هذا الظلم - شعرت "مارين" بثورة تعتريها. سواء كان مشهوراً أم لا، فإن هذا الرجل جسور حقاً، بالإضافة إلى أن عازفة البيان كانت تتمرد في داخلها . كيف ترفض عرض الـ "كارنيجي" بينما العديد من الموسيقيين يجثون للحصول على فرصة للعزف فيها؟ و- فجأة- أتتها فكرة . منذ أن عملت سكرتيرة لـ"جان دي سيز" ، لم تسمعه يعزف حالياً

وقد انهمكت في عملها ، حياتها الجديدة والمفاجآت التي تقدمها لها هذه الحياة ، لم تلتفت "مارين" إلى ذلك، بالإضافة إلى أنه نادراً ما كان الموسيقار يتواجد في منزله . كانت السيارة الـ" مرسيدس" المتينة تغادر الفيلا في الصباح الباكر، وكانت "مارين" لا تسمعها تعود إلا في الليل.

غير أن- بأي شكل - الوضع في حد ذاته كان يثير الدهشة لكيلا نعتبره خارقاً. أدركت أن الحدث الذي - منذ وجودها في هذا المكان - يبدو لها غريباً دون أن تستطيع تفسيره بالضبط. كان هذا : سكوت البيان الكبير . ولا مرة- منذ بداية الأسبوع- لم يرفع "جان دي سيز" عنه الغطاء.

كانت "مارين" ، لأنها سبقت ومارست العزف بنفسها حتى هذه الأيام الأخيرة ، تعرف أنه على عازف البيان أن يتدرب من ساعتين إلى ثلاث ساعات لكيلا تفقد أصابعه مرونتها ، كيف يحدث أن "جان دي سيز" الشهير لا يخضع لهذا الإلزام؟ هذا أيضا أمر عجيب أكثر من الرفض بأن يجري ذلك في الـ "كارنيجي" .ثم انتزعتها "ماجدالينا" من أفكارها عندما أتت لكي تعلنها بأن الغداء معد.

كانت السيدة الطيبة قد وضعت المائدة في صحن الدار، بالقرب من شجرة ضخمة ذات زهور وردية. تذبل في الليل، وفي صباح اليوم التالى تحل محلها غيرها أكثر روعة. كان جمالها يومياً، زائلاً ، وفي الوقت نفسه أبدياً، دائماً.

كانت "مارين" أثناء تذوقها طبق السمك المشوي وهو من أشهر أطباق الجزيرة ، كما أن "ماجدالينا" تجيد إعداده- تفكر متسائلة عما ينبغي لها أن تقوم به في فترة بعد الظهر.

كانت قد أنهت البريد . كانت "ماجدالينا" قد أعلنت أن "دون جوان" قد ذهب لقضاء اليوم عند بعض أصدقائه. بذلك "مارين" تعتبر حرة، في إمكانها قضاء الوقت حسبما يحلو لها .

لماذا لا تتبع النصيحة التي منحها إياها "جان دي سيز" في اليوم الأول، وتذهب لاكتشاف هذه الجزيرة التي يصفها القدماء بانها "جوهرة البحر المتوسط"؟

بالتأكيد - أجابت "ماجدالينا" - وكان السؤال موجهاً إليها- "الـ "كوش" تحت أمر الفتاة . لأن "أنطونيو" لا يستخدم الـ "فولفو" إلا في الصباح للقيام بالمشتريات.

لقد أبهجت هذه الفكرة "مارين" وانتزعتها من كل ما كان يشغل فكرها. في النهاية ، لاداعي للتفكير في رئيسها الغامض بكل أهوائه! إنها في التاسعة عشرة من عمرها، ومرآتها تخبرها بانها رائعة، ولها سيارة تحت تصرفها، وجزيرة مجهولة ينبغي لها أن تكتشفها. خلعت فستانها على عجل، ارتدت بنطلونا وشيميزييه مطبوعاً بزهور بيضاء وحمراء ؛ ثم في غير تردد حلت شينيون السكرتيرة، فأعادها إلى نفسها شعرها عندما نزل على كتفيها. ومتعة حقيقية شعرت بها عندما جلست أمام عجلة قيادة سيارتها .لكن إلى أين تتوجه للرحلة الأولى؟

وفجأة أتى إلى ذهنها أحد الأسماء : "شوبان".

ألم يحدث في هذه الجزيرة ، أن العازف الكبير قد كون، أجمل أعماله ؟ أليس هنا قد عاش مع "جورج ساند" أجمل وأروع أيامه؟، وأكثر روايات الحب التهاباً؟كان في هذا المنزل في "فالديموزا" إن الروائية الجميلة قضت فصل الشتاء مع الموسيقار الكبير حيث تتنازع العاطفة مع النبوغ .بحثت "مارين" في ضعف على الخريطة : إنها أقل مما

كانت تعتقد : ثلاثون كيلو متراً فقط.

*****

داخل الأراضي، أبهج "مـــارين" أولاً الطريق المؤدي إلى وادي "فالديموزا" ببهائه ثم بهرها بجماله. هناك الجبال، كانت تشق الأفق ، مختلفة تماماً عن جبال الألب والـ "بيرينيه" إذ إن قممها مستديرة . كان كل شيء هنا وكانه معد مثل الجزيرة لمتعتها وسرورها.

كانت - أثناء قيادتها السيارة- تتذكر حياة "شوبان" الموسيقار المفضل لها.

كان هذا الملحن البولوني - وهو مع ذلك من أب فرنسي -قد كتب عن وطنه التعيس ، أجمل المقطوعات الموسيقية؛ كان تكون الـ "مازوركا"، الـ "بولونيز" أو الـ "فالس"..

كان مصاباً بمرض السل - وكان هذا المرض يعتبر مميتاً في هذه الحقبة من التاريخ - عندما تقابل مع من أصبحت أشهر سيدات الأدب في العصر الرومانتيكي : وأولى مؤلفاتها عن مبدأ مساواة المرأة بالرجل في الحقوق مؤلفة "لابيتيت فاديت" و"لامار أوديابل".

كانت تكبره بحوالي خمسة عشر عاماً ، لكن كان هذا لا يهمهما. من جانبه كان "شوبان" يعلم أنه محكوم عليه. و"جورج" كانت تنتقل من حب عاطفي ومأساوي إلى حب مأساوي وعاطفي ! غير أن الروائية كان لها - من زواجها بالسيد "ديديكان" الذي طلقت منه- ابنة وابن "موريس" كان هذا الأخير يعاني مرض الروماتيزم ،فنصحه الطبيب بقضاء الشتاء على شاطئ البحر المتوسط حيث المناخ المناسب له أكثر من "باريس". كانت - حينئذ "جورج" قد اختارت "ماجوريك" : جزيرة غير معروفة في المحيط، كما أن وصول أجنبي إليها يعتبر حدثاً.

ومع ذلك ، لم يتردد "شوبان" - على الرغم من مرضه - في اتباع سيدته في هذه المغامرة الخطيرة . ويا للأسف! لقد تجمعت كل الظروف ضد المحبين!

في هذا العام، كان الشتاء ثلجياً على خلاف المعتاد، وهو دائما لطيفا في هذه المنطقة، وعلى الرغم من شهرة هذا الثنائي غير الشرعي، قد أوصدت أمامهما كل الأبواب ؛ بالإضافة إلى أن مرض "شوبان" سرعان ما عرف ، مسبباً الذعر بين الشعب خشية انتشار العدوى. احتميا في منزل ريفي في "فالديموزا" ، وكانا يرتجفان أمام نار ضعيفة وحالة "شوبان أخذت تسوء من يوم إلى يوم .

وفي شهر شباط (فبراير)، تمكنا أخيراً من الرحيل إلى "برشلونة" على أول سفينة كانت ستغادر الجزيرة . وكان الموسيقار في حالة موت، لكنه كان قد كتب أجمل مؤلفاته . وأحب!

أحب كلمة بدت عجيبة لـ "مارين" . ها هي في التاسعة عشرة من عمرها ولم يحدث لها ذلك حتى الآن .

ربما لأنها كانت تعيش مع والدتها، لا تتركها أبداً، وليس لها سوى حب واحد- حبها للبيان- لم يكن لها معجبون من عمرها. هذا بالإضافة إلى أنها طاهرة، نقية، عميقة لدرجة أنها تفكر في حب عابر .

كانت هذه الفتاة تعلم أنها يوما ستحب سيكون ذلك لمدى الحياة. غير أنها بدأت تتساءل في قلق، إذا كان هذا سوف يحدث لها ذات يوم.

كان الطريق الذي سلكته "مارين" للعودة إلى "فالديموزا" ، طريقاً جبلياً. وكانت كلما ارتفعت ، كانت الفتاة تدهش أكثر معجبة بتغيير المناظر الريفية الخلابة التي لا تقارن بهدوء الساحل، .

كانت أشجار الخروب قد تلت أولاً أشجار الصنوبر. كانت أشجارالخروب ذات لون أخضر يبدو كانه طلاء، كانت تغطي مع أشجار التين – سفوح الجبال. ثم بعد قليل تركا المجال لأشجار الزيتون. أشجار زيتون لم يسبق للفتاة أن رأت لها مثيلاً، ولا حتى في "بروفانس" : ذات جذوع ضخمة ، ملتوية كما لو كانت قد لُويت بيد شخص جبار. توقفت على حافة الطريق لكي تتاملها بصورة أوضح.

وكانت أوراقها الخفيفة وهي بلون أخضر فاتح تتعارض مع جذوعها القوية . لقد كانت حقاً أشجار العهد القديم الأزلية. " إن لها على الأقل

خمسمائة أو ستمائة عام" هكذا فكرت "مارين" معجبة.

وكم كانت دهشتها ، عندما شاهدت – عند المنحنيات ، في الأسفل– البحر وكان يبدو بلا حركة أشبه ببركة كبيرة ساكنة.

كانت الفتاة تمر أيضاً من حين إلى آخر بقرية صغيرة تسطع عليها شمس ذهبية . وكانت تبدو خالية من الناس وهذا لأنها ساعة القيلولة . كانت النوافذ الخضراء المغلقة على الضوء الخافت في المساكن تجعل كذلك هذه البلدان أخاذة أكثر. وكانت تبدو مهجورة لولا وجود بعض الشيوخ ؛ كان أحدهم جالساً على مقعد أمام بابه ورآها تمر.

"يبدو أن هذه المنطقة لم تتغير منذ قرن" هكذا فكرت "مارين" . لاشك في أن الفرق الوحيد بين الفترة التي حضرا إليها "شوبان" و"جورج" وبين أيامنا هذه ، هي وسائل الانتقال إذ كانوا فيما مضى يتوجهون في عربات ذات خيول أو على ظهور حمير أو بغال.

كل ما في الجزيرة أبهجها . منت نفسها بأنها– إذا كانت متفرغة في اليوم التالي– فسوف تذهب لاكتشاف مكان خالٍ من الناس حيث تستطيع أن تأخذ حمام شمس . لكنها كانت مسرورة بأنها بدأت زيارتها للجزيرة بهذا المزار الموسيقى.

وفي دوران الطريق، قرية صغيرة جداً ، لطيفة، بها دير كان قد شيد في القرن الثالث عشر. وعلى الرغم من باعة التذكارات سحرها في الحال جمالها البايى . وعلى الميدان حيث أشجار زينة عملاقة تحجب زرقة السماء ، كان يفتح رواق الدير.

أخذت تذكرة: التجارة لا تفقد حقوقها ، حتى عندما يقتضي الأمر بيع ما يخص الماضي. ولجت المنزل الريفي الصغير ، حيث لم يعد يوجد راهب ، صامت وبين أنامله مسبحة. كان يوجد سور أبيض يحيط بصوامع الرهبان حيث خلال ستمائة عام– قاموا فيها برفع الدعاء إلى الله والتأمل بعيداً عن ضوضاء القرن.

بعد ذلك ، كان الثنائي الذي كان قد صدم حتى أعوانه، قد أقام فيه طوال الشتاء ، فكانت هذه الشهور الثلاثة – منذ أكثر من ستة قرون من

الصلوات والتأملات هي التي جذبت الزوار حاليا. أخذت "مارين" تتنزه في هذا الدير وتستعيد كل هذا الماضي.

وإذا بفوج سياحي- نازلا من عربة مصدراً ضجيجاً - يقتحم الدير.

ها هو السحر قد تبدد، بسبب عبارات التعجب الصادرة منهم. وقد تبدّد سكون وسلام الدير، دخلت "مارين" أول صومعة. بداخلها بيان يملأ تقريباً هذه الحجرة الضئيلة.

ليس هذا الذي لحن عليه "شوبان" مقطوعات "مازوركا" و"بولونيز"، إنما البيان الذي - فيما بعد - أتى إليه مشاهير الموسيقيين يكرمون أستاذ الموسيقى الرومانتيكية بعزف مؤلفاته.

انحنت في فضول على قائمة الأسماء المهيبة المثبتة على الحائط:

"مانويل دي فالا"

"سامسون فرانسوا"

"ألفريد كورتو"

"روبنشتاين"

وآخر من عزف عليه:

"جان دي سيز"

شعرت بتأثر عميق يملؤها. هكذا تجمعت هنا رموز الموسيقى، اسما رجلين تجلهما كثيراً، المتوفى والحي: "شوبان" و"جان دي سيز". من جديد ورغماً عنها، اندفعت أفكارها نحو عازف البيان وما كان يلازمه من ضيق: كيف يحدث أنه منذ وصولها، لم يفتح البيان؟ كان في ذلك أمر لا تفهمه. كانت تشعر بلغز محزن.

خرجت من الحجرة، دخلت غرفة أخرى قد جذبتها، لأنها كانت خالية من السياح.

علمت في الحال أنها الصومعة التي كان "شوبان" قد عاش فيها. ودون أن تكون قد رأته أبداً عرفت في الحال الآلة التي عزفت عليها أنامل العازف الكبير. هذا البيان - ماركة "بلابل" - الذي كان قد جلبه من "باريس"، والذي انتظره طوال فصل الشتاء، وقد اضطر إلى استئجار

واحد، لم يصل إلا قبل ثلاثة أسابيع قبل رحيله!

على الحائط أيضاً كانت بعض السطور موضوعة في إطار "لقد عزفت أنامل "فريديريك شوبان" أروع الأنغام، وأكثر عبارات الروح المحركة للعواطف، التي رسمها نبوغه في مؤلفاته الخالدة.

أغلقت عينيها لبضع ثوان لكي تتمالك نفسها، وقد بدا لها أن في مكان ما من الدير، يسمع عزف إحدى مقطوعات الفالس كما وضعها "شوبان" وحده و"جان دي سيز" كان يجيد عزفها هو فقط.

هل هي تحلم بذلك؟ هل هو شبح خفيف لماضٍ قد دفن للأبد؟ ظنت "مارين" أنه- بالنسبة لها- قد انتهى عزفها على البيان. ستكتفي بالاستماع إلى غيرها ممن لهم مواهب أكثر منها وهم يعزفونها.

انقبض حلقها اغرورقت عيناها بالدموع. في هذه اللحظة، سوف تعطي حياتها بلا تردد لكي تصبح - لعام فقط- عازفة بيان، وهو ما كانت تحلم به طوال فترة طفولتها! لمحت بنظرها الصومعة الفنية التي آوت النابغة "شوبان".

وكان الأثاث الموجود بها- عدا البيان - قليلاً جداً. في أحد الأركان مقعد ذو مسندين من الخشب المنحوت حيث كان يحلو له الجلوس، يبدو منتظراً عودته.

ثم بدخول السياح الحجرة انتزعت "مارين" من أفكارها ومن ذكرياتها. احتمت في الحديقة الجميلة الصغيرة التي تطل عليها الصومعة.

حديقة كلها شعر من صنع - ما لا شك فيه- راهب محب للطبيعة والزهور. حدثت نفسها بأنه لابد أن الحديقة كانت على هذا الوضع منذ عهد "شوبان".

لقد مكث هنا منذ ثمانٍ وعشرين عاماً. وجراح رئتيه المميتة التي سوف تودي بحياته - تدمي. كان ذا جمال باهر وأناقة فائقة حتى إن صديقه "ليزي" لقبه بـ "الأمير". وبالتأكيد لقد زاد المسكن الريفي في "فالديموزا" من الألم الساكن فيه وعجل بنهايته، لكنه هل بدون الظروف المأساوية - الصحية والنفسية - التي عاش فيها وتألمت روحه

الأسيرة- كناقد قد حصلنا على هذه الأنغام الرائعة؟ هكذا تساءلت بينما كانت "مارين" تفكر في كل ذلك كانت جالسة على حافة الحديقة المعلقة على أجمل وديان الجزيرة . ودون أن تدري ، كان شابان يتأملانها .بالنسبة لهما. لم تكن – بالتأكيد- ذكرى "شوبان" التي تسحرهما، إنما وجود هذه الفتاة

"شوبان" هكذا قال أحدهما وهو يطلق زفيراً . " رائعة" ، استطرد زميله باللغة الفرنسية سوف أعطي كل الـ "مازوركا" لـ "شوبان" من أجل ساعة أقضيها مع هذه الغادة ! لكن – إذ كانت تائهة مع تأملها في الماضي، ماضٍ جعله "دون جوان" حاضراً- لم تسمع الغادة لهذين المعجبين الجافين!

كانت تفكر في تلك العاطفة الملتهبة التي جمعت الروائية بالموسيقار، كانت "مارين" تجسد "جورج ساند" التي عاشت حباً هذا مقداره . ودون أن تدري ، حالمة ، مستيقظة ، كانت مجسدة فيها كما أنها تجسد "جان دي سيز" في "شوبان" .

على ما يبدو أن السياح قد غادروا المنزل الصغير في "فالديموزا" لا شك في أن العربة التي كانت قد أقلتهم قد انصرفت . وقد نقلت إلى عالم اللاحقيقة ، أخذت "مارين" تتجول – مبتهجة – في الدير الأبيض الكبير ، متوقعة رؤية أحد الآباء الموقرين لكن الرهبان كانوا قد هجروا الدير الجميل. الأخير من بينهم كان قد مكث حتى وفاته ، كان أخاً صيدلانياً قام بعلاج التعيس "شوبان" مستعيناً بأنواع الدهان والأعشاب الطبية.

وكانت صيدليته هي التي تبحث عنها الفتاة . ومن أوصوها بألا تغفل عن زيارتها ، كان أصدقاء سبق لهم أن شاهدوها ، لأنها ظلت كما هي بأوانيها القديمة مبينة بأسماء لاتينية ، موازينها الدقيقة التي تزن الأفيون وخلافه بالمليجرام ، مدقاتها الكبيرة من الرخام التي سحقت فيها المراهم طوال قرون مضت.

كان عن يسارها باب موارب. دفعته، ظناً منها أنه باب الصيدلية . دهشة ، تواجدت في صالون ذي أثاث إسباني والديباج الوردي

الباهت. كما أنها لمحت في الحجرة المجاورة سريراً ذا أعمدة غطاؤه من نفس لون الستائر . أين هي؟

وإذا بصوت سيدة عميق جعلها تنتفض:

– ماذا تفعلين هنا يا آنسة؟ هنا شقة خاصة .

التفتت نحو الحديقة من حيث يأتي الصوت.

سيدة مازالت شابة لكن كبيرة ومهيبة ذات ملامح جليلة، تنظر إليها في غير بشاشة . بالقرب منها، كان يقف رجل مستنداً إلى الحائط القصير الذي يحيط بالحديقة الصغيرة . التفت، تأمل الفتاة في دهشة ثم صاح:

– يسحقني الله إن لم تكن هنا سكرتيرتي الصغيرة، بدون فستانها الذي لمعلمة، والشينيون الذي في شعرها وهو لفتاة كبيرة ، كدت ألا أتعرف عليها.

– ها يا "رين" لا تخيفيها بصوتك الضخم ! ستخبرنا عن السبب الذي دفعها إلى ملاحقتي إلى هنا

الفصل الرابع

وقفت "مارين" دهشة تنظر إلى "جان دي سيز" . ماذا يعمل هنا؟ هل هو يقضي أيامه في هذه الصوامع المحولة إلى مسكن فاخر؟

كانت "مارين" قد عرفت السيدة التي كلمتها . كان صوتها أجمل نغم في "فرنسا" وربما في العالم : "رين كاسار" ! كان صوتها أسطورياً مثل جمالها، ومغامراتها العشقية. كثيراً ما تصدرت الصحف الخاصة بالتشهير. أتى إلى ذهن الفتاة شك جعل قلبها يخفق مما أثار دهشتها : هل "جان دي سيز" عشيقها؟ سوف يوضح ذلك كثيراً من الأمور: ألا يتواجد أبداً في مسكنه ؛ عدم تمسكه بالحصول على سكرتيرة ملمة بشؤون الموسيقى،: ما يفهم منها أنه كانت له علاقة بالمطربة الشهيرة .

وإذا كان هذا الحال، لا الواحد ولا الآخر ينبغي له أن يتمسك بأن يكون الصحفيون على علم به.

وبما أن عازف البيان لا يعرف "مارين" فهو كان يخشى أن تبيع هذه المعلومة لجريدة أو حتى لأكثر من واحدة ، تفيد منها. وبينما كانت هذه الأفكار تدور في رأسها ، كان "جان" و"رين" ينظران إلى الفتاة دون أن ينطقا بكلمة ، في انتظار إيضاح قد تأخر تقديمه؛ لأن "مارين" كانت مرتبكة.

سحب "دون جوان" يده التي كان قد وضعها على كتف "رين" بطريقة مألوفة ، كأنه خشي أن يكون لهذه الحركة وقع سيئ لدى السكرتيرة . ثم – وقد ظلت هذه الأخيرة ملتزمة الصمت– أعاد توجيه سؤاله متوجهاً هذه المرة إلى الفتاة بطريقة مباشرة . كان في صوته شيء من الفضول ، وأيضا بعض السخط . و"مارين" أحست بذلك.

– ما الذي يحدث؟ – وفي الواقع – كيف تمكنت من العثور عليّ؟ أنا لم أخبرك بمكان تواجدي.

ولما ارتبكت "مارين" إنها المصادفة، تمتمت:

– إنها مجرد مصادفة كنت أتنزه ولم أكن على علم بوجودك في هذا المنزل الريفي(الدير)

أردفت المغنية (العالمية) بنبرة عدائية:

– وأيضا بمحض المصادفة دخلت – في غير تردد– مساكن خاصة؟ اعترفي بأنه أمر عجيب، وأنه بدافع الفضول.

تمتمت "مارين":

– كنت أبحث عن الصيدلية. تطلعت إليها "رين" بنفس الدهشة التي كانت ستبديها عند رؤية ديناصور يهاجمها.

قالت:

– واعتبرت حجرتي صيدلية؟ وبلا شك فانا في نظرك الصيدلانية؟

لم تتمكن "مارين" من مقاومة الحمرة التي علت وجهها حتيمنبت الشعر . لم يسبق لها في حياتها أن واجهت مثل هذا الموقف المحرج.

كانت حقاً تمنح الإحساس بأنها تتجسس على "جان دي سيز" ما الذي سيتخيله كلاهما؟ كانا ينظران إليها بنفس النظرة الفاحصة . لقد

اقتنعت "مارين" بأنهما لا يصدقان كلمة واحدة مما تقول.

ثم – فجأة– ارتخت ملامح "جان دي سيز" ، وكم كانت دهشة الفتاة عندما انطلق في الضحك:

– نعم ، لقد فهمت! "رين" إن هذه الفتاة تعشق الموسيقى، وقد أتت لزيارة الدير الذي عاش فيه "شوبان" . والصيدلية التي تبحث عنها هي صيدلية الدير وبما أنها تجهل وجود صوامع قد حولت إلى مساكن خاصة، دفعت الباب عندما رأته مواربا.ومع كل يا صاحبتي العزيزة ، إنها غلطتك. لو أنك أغلقت باب مسكنك ، ما كنت تفاجئين بزيارة غيرمتوقعة.

ثم التفت نحو "مارين":

– هذا هو وضعك ، أليس كذلك؟

نظرت إليه الفتاة، وجدته مبدياً ابتسامة تعبر عما بين السخرية والتسلية. لقد اختفت النظرة الشريرة من عينيه وأصبحت إلى حد ما ودية . غير أنه كان ينظر إليها بطريقة عجيبة، وكان في هذه النظرة شيء ما يلمس عند الفتاة خيطاً مازال مجهولاً لها حتى ذلك الحين . ما الذي حدث له؟

على الرغم من أن "مارين" اطمأنت لكلمات "جان دي سيز" ، إلا أنها مكثت مرتبكة في أعماق نفسها.

تمتمت:

– نعم .

وبعد ذلك قدمت اعتذارها:

– بما أن سيادتك سمحت لي باستخدام السيارة، وبما أني كنت قد أنهيت عملي رغبت في مشاهدة "ماجورك" "فالديموزا" كانت المكان الوحيد الذي سمعت عنه ولم أتمكن من مقاومة الرغبة في زيارة المنزل الريفي.

بدوره ، انبسط وجه "رين" وهو مرآة حقيقية لأفكارها ومشاعرها . برطمت لكن بشيء من الظرف في هذه المرة:

– والآن ينبغي أن تجيبي في الحال أيتها الفتاة، ولا يحق لنا أن نعنفك

www.rewity.com

من أجل هذه الزيارة الموسيقية، ومع كل كما قال "جان"، كان أفضل ما أقوم به، هو أن أغلق بابي، ولما تغيرت لهجتها . قدمت "رين" لذلك الإيضاح في الحال:

– لقد اعتبرتك صحفية . إن أولئك الفضوليين لم يكفوا عن ملاحقتي...

بذلك لم تخطئ الفتاة : هذا ما كانت تخشاه المغنية.

لكن إذا كانت تخاف من الصحفيين إلى هذا الحد، فهي التي كانت متمسكة بإخفاء شيء ما قد يكون قصة حب.

كانت "رين" تبدو في الخامسة والثلاثين ؛ ضخمة مهيبة ، في مظهر "جونون"، وكانت الشائعات في المجتمع تردد أن الرجال لا يقاومون جمالها.

"ومع كل– هكذا فكرت "مارين" – فبم يهمني كل ذلك ؟. إنهما حران كلاهما. وهذا لا يخصني أبداً."

إذن لماذا يضطرب قلبها؟

ثم واصلت قولها:

– إنهم يدفعون بي إلى الجنون، إني أجدهم في كل مكان ! لدرجة أني في المساء، قبل النوم ، أنظر تحت سريري لئلا يكون أحد الصحفيين مختبئاً تحته. إنهم يجعلون حياتي مستحيلة. تبادلت مع عازف البيان ابتسامة تواطؤ:

– وخاصة في هذه اللحظة – أجد نفسي غير محتاجة إلى أولئك المزعجين. خفض "جان دي سيز" رأسه علامة تأييده لكلامها.

كانت لـ "رين" لهجة وعبارات خاصة بها عندما تتحدث. كذلك ما تستخدمه من صفات، يدهش لها المستمع، يزيد من حدتها نبرة صوتها العميقة القوية. لكن يبدو أنها ليست امرأة شريرة.

نظرت إلى الفتاة التي – أمام هذا السيل من الكلمات – لم تجد ما تتكلم به.

– هيا، لا تمكثي هنا ولكنك مرتبكة . اجلسي . سوف تتناولين

الشاي معنا.

*****

أثناء عودتها بالسيارة من خلال بساتين الزيتون ، تحت سماء تتفاوت ألوانها من الوردي إلى الأحمر القرمزي بفعل انعكاس أشعة شمس الغروب، كانت "مارين" تفكر في الساعات التي قد قضتها . فترة بعد الظهر تختلف تماماً عما كانت تتوقعه عندما قررت زيارة دير "فالديموزا" إن المكان شائق حقاً كما وصفه "جورج ساند"

"كم أن هذا الدير جميل تحت تعرجات الليلاب ، الأزهار الرائعة في الوادي، الهواء النقي على جبلنا، البحر بمثل هذه الزرقة في الأفق . إنه أجمل مكان أتمنى الحياة فيه ، مكان لم أر له مثيلا . وهو ما يعتبر أجمل الأماكن التي شاهدتها"

لكن الساعات التي تلت اكتشافاتها، كانت بالنسبة لـ "مارين" خارقة أكثر. لقد كانت نتائج فضولها مضادة لما خشيته.

*****

تغير سلوك "رين" بعد أن تحققت من خطئها، وأن الفتاة حقاً قد دخلت عندها بمحض المصادفة . إن "رين" تتمتع بكل صفات أهل الـ "بروفانس" التي تنحدر منهم ، لاسيما المودة ؛ لذلك أظهرت كل مشاعر اللطف بعمق نحو "مارين" التي تأثرت كثيراً بذلك.

كانت "رين" تميل إلى المأكل والمشرب . والشاي الذي تكلمت عنه، كان حقاً عبارة عن كم من الجاتوهات والساندوتشات . وكم دهشت الفتاة عندما شاهدت كمية البيتي فور التي تناولتها المطربة. وما قاله لها "جان دي سيز" مستهزئاً:

– هل تفكرين يا "رين" من حين إلى آخر في قوامك؟

أجابته المطربة المشهورة:

– إني أفقد كيلو جرامين في كل مرة أقدم فيها عرضاً غنائياً. وإذا كنت أرغب في ألا أبدو شاحبة وبلا صوت فعليّ أن أتغذى! ثم التفتت نحو "مارين" متظاهرة بأنها طعنت:

– احسبي: إني أقدم على الأقل مائتي أغنية في العام! في كل ليلة أفقد كيلو جرامين، إذن بذلك أجد أني.

وتوقفت، فمها مفتوح، ممسكة ببسكوتة، جامدة بلا حركة، صورة حية للفزع:

– لكن هذا شيء مرعب! لم يسبق لي القيام بهذه الإحصائية. أربعمائة كيلو جرام!.... لابد أن أكثر من الطعام. لا. ليس من أجل أن أعيش، ليس كما يقول "هارباجون". إنما لكيلا أموت! –ومرة ثانية– ابتلعت البسكوتة التي كانت بيدها، بينما اليد الأخرى كانت قد امتدت لتناول قطعة من الجاتوه!

كان منظراً عجيباً حقاً جعل "مارين" تضحك وهو ما أبهج المطربة؛ لأنها تبتهج عندما ترى أن الناس يسرون بقفشاتها وبديهتها.

وهكذا تمكنت من إعادة الفتاة إلى حالتها المزاجية المعتدلة؛ وبسرعة كانت قد عاملتها بصداقة تتسم بالحماية وهي ترجع (لقد شعرت "مارين" بذلك) إلى فارق العمر أكثر من أن ترجع إلى الفارق الاجتماعي: أن تكون "مطربة" دولية– على ما يبدو– لم يؤثر في شخصية هذه السيدة الشابة.

لكن، إذا كانت تعرف كيف تضحك أصدقاءها بأن تسخر من نفسها، فهي تستعيد جديتها عندما تتكلم عن مهنتها بحماس عاطفي يثبت كم أنها تحبها.

هذا – هو خاصة– ما كان قد سحر "مارين": هذا الحب للغناء. هي ذاتها كانت تعشق الأوبرا.

وإذ غفلت عن خجلها، كانت قد تحدثت مع المطربة الشهيرة بأسلوب لم تكن تفكر فيه عند بداية لقائهما

"جان دي سيز" ذاته وهو بارد بطبيعته، كان عندما يتواجد بمفرده

مع سكرتيرته، كان قد بدا رجلاً كله جاذبية، قريباً جداً من الذي تخيلته عندما لم تكن تعرفه بعد. وعندما نهضت الفتاة للانصراف – في حركة فجائية– كانت "رين" قد قبلتها. ثم التفتت نحو "جان" في حمية:

– لابد أن هذه الصغيرة تتضايق بمفردها طوال اليوم؛ اصطحبها إذن من حين إلى آخر لدي بعض الأصدقاء. ليتها تتعرف إلى الناس، وتخرج قليلاً. على ما يبدو أن عازف البيان أبدى إشارة تفيد بأنه وافق على رأيها غير أن "مارين" شكت في أنه سوف يتمسك بهذا الوعد غير الأكيد.

*****

كان هذا في فترة بعد الظهر، عندما – على خلاف المألوف– استعادت إلى ذهنها وهي جالسة على مقعد خشبي في المطعم الذي سوف تتناول فيه العشاء.

فجأة شعرت الفتاة بأنها لا ترغب في العودة في الحال. يكفيها الاتصال هاتفياً بـ "ماجدالينا" لكيلا تقلق. أما بالنسبة لـ "جان" فهي لن تخطره، مادام عند "رين" على مسافة بضعة كيلو مترات، كانت قد لمحت مطعماً: "الـ ديمينو". وهو شيطان أسود كبير من الكرتون، ذو قرنين يلوح بمدراته بين شرفتين مقوستين، يصور هذه اللافتة العجيبة.

حينئذ دخلت الفتاة وكم كانت دهشتها عندما شاهدت مقاييس هذه القاعة الضخمة. الموائد التي من الخشب المطلي، بدون مفارش، لكن غاية في النظافة، كانت تقريباً كلها مشغولة من عائلات "ماجوركية". أحست "مارين" بأنها الأجنبية الوحيدة في هذا المطعم الإسباني.

وعلى الرغم من حرارة الجو كانت النار تتوهج في مدفأة موضوعة في أحد الأركان؛ وكانت تقف أمامها سيدة منهمكة في القيام بعملية شرائح السوسيس (شرائح اللحم الضأن" والتي حركت شهية الفتاة. كما أنه من الكتل الخشبية الموجودة في السقف كانت تتدلى بالمئات: أفخاذ،

جزارة إسبانية حقيقية، وعقود من الثوم والبصل. كل هذا كان يمنح المكان جواً من الألفة والدفء على الرغم من مساحة القاعة الشاسعة.

ثم حدث أنه- قبل أن تطلب أي شيء كان- أحد الخدم قد أتى، ووضع أمام "مارين" خبزاً وكأساً صغيرة من الفخار به شراب أحمر، وطبق زيتون أخضر. تناولت الفتاة حبة زيتون وعندما تذوقتها وجدتها ذات طعم خاص: إنه زيتون الجزيرة، معد بطريقة لابد أنها متوارثة.

لقد وجدت "مارين" أن الخبز أيضاً لذيذ وهو فلاحي مصنوع من خليط من دقيق القمح والذرة بنسبة النصف والنصف. ثم قدم لها طبق "حساء ماجوركي" وهو طبق الجزيرة الشعبي المكون من الكرنب، وقطع صغيرة من الشحم ومن قطع اللحم موضوعة على خبز على هيئة شرائح رقيقة جداً.

ابتهجت لأنها توقفت لتناول العشاء أفضل من أن تعود مباشرة.

وأثناء ما كانت تتذوق الحساء بلذة! ، كانت تعيش أدق تفاصيل هذا اليوم : " غير المتوقع ، الرائع" . ومع ذلك ، على الرغم مما أظهرته لها "رين" من ظرف ، ورغما عن تغيير لهجة "جان" عند مخاطبته إياها شعرت "مارين" بأن الساعات التي قضتها في صحبتهما لم تترك لهما ذكرى السعادة فقط. لقد اختلط بها إحساس غير مفهوم ، مشوش لكنه يمنح هذه الفترة "فترة بعد الظهر الرائعة" ذكرى لمرارة.

تذوقت "مارين" الشراب ، حاد بعض الشيء لكنه معطر والآن ها هو الخادم يقدم لها قطع لحم مشوي. حدثت نفسها بأنها محظوظة . من أين إذن لها هذا الأسى الذي يدهشها؟ دون أن تدرك السبب، كانت تشعر بضيق في الصدر، كما كانت تقول عندما كانت طفلة، ويصادفها ما يضايقها أو يؤلمها.

*****

حاولت من جديد في السيارة – أن تفسر لنفسها- لكن دون أن تتوصل لحل، هذا الإحساس الغريب من الغبن أو الحرمان من حق .نعم

إنه هكذا وكأنه قد انتُزع منها شيئ ما تمتلكه.

هزت "مارين" كتفيها ، ثائرة ضد نفسها . حقاً ماذا دهاها؟ ربما – هكذا فكرت – لأنها انفصلت عن والدتها.

لقد وثقت الآن بأنها قد ألقت الضوء الآن عليما أسمته في داخلها : لغز "جان دي سيز" ؛ هذا اللغز وهو غاية في البساطة ويحمل اسم: "رين" ! لم يعد لدى الفتاة الآن أقل شك في أن المطربة وعازف البيان عاشقان ، الأمر الذي يوضح لماذا هذا الأخير لا يتواجد في منزله. و"مارين" اضطرت لمعرفة ذلك: هذه الصلة ضايقتها ، بل إنها منفرة بالنسبة لها. لم تعد الآن طفلا حتى تجرح لمثل هذا الاتحاد غير المنظم . ومع ذلك تتصرف وكأنها جرحت منه.

"إنه بالتأكيد وضع سخيف هكذا فكرت . لسنا الآن في عام ١٨٣٠ بالإضافة إلى أن حب "شوبان" و"جورج ساند" لا يصدمني بتاتاً. إذاً لماذا يؤثر في ارتباط "جان دي سيز" بـ "رين كاسار"؟ على أي حال لم يهمني ذلك؟ هزت كتفيها لأنها لم تفهم نفسها.

كانت السيارة الـ "فولفو" قد غادرت أشجار الزيتون المعمرة وأشجار الخروب العملاقة . وهاهي أشجار الصنوبر قد حلت محلها رويداً رويداً، وكان المرء يشاهد من بينها أضواء لم تكن سوى البحر اللامع في ضوء القمر.

وأخيراً بدا منزل "جان دي سيز" أبيض ، مرحاً، معداً لمتعة الإجازات السعيدة.

إذن لماذا هذه التعاسة الموجودة في قلب "مارين"؟

الفصل الخامس

كم كانت دهشة "مارين" عندما بدا "دون جوان" في اليوم التالي أكثر مودة عما كان عليه في الأيام السابقة . لكنه- بالتأكيد- ظل الرئيس (رئيس العمل) المتحفظ ، الجاد في عمله ، المدقق، لكن ذلك

كان لا يزعج الفتاة. مقابل ذلك، كانا عندما ينهيان العمل يتأخر عنها عدة لحظات:

– خذي القارب– هكذا قال– متبعة الساحل، وقومي برحلة بحرية. ستجدين جزراً صغيرة خالية من الناس، شواطئ هادئة حيث تستطيعين أخذ حمامات شمس، دون أن يأتي أي سائح ويزعجك.

لابد أنه هو ذاته يمارس هذه الرياضة؛ لأن "مارين" لاحظت أن بشرته برنزية، حتى شعره قد تأثر باشعة الشمس ومياه البحر.

وكان هذا يمنحه مظهر شخص رياضي جسور، أكثر من أن يكون عازف البيان المشهور.

والآن، ها هي الفتاة واقفة أمام الخليج الصغير حيث ترسو القوارب، تنظر إلى القوارب الآلية في اشتياق وهي في لباس البحر.

كان قاربها أكبرها حجما وهو ذو موتور قوته مائة وخمسون حصانا، يستطيع بلوغ سرعة هائلة. كانت "مارين" تشاهد ما بداخله من مقاعد من الجلد من الباب المفتوح: مركب رائع لكن بالتأكيد يحتاج إلى دراية في قيادته.

بجواره كان قارب "زودياك" بطول خمسة أمتار يتأرجح في تراخ. وهو أيضاً– بالنسبة لنوعه – سفينة رائعة.

إنه القارب القابل للنفخ – هكذا كان قد أعلمها "جان دي سيز" الذي يستخدمه البوليس البحري. بالضبط لأن هذه الخزانات الهوائية التي على الجانبين تكفل له توازناً كاملاً. وكان تقريباًمن المستحيل أن ينقلب. "مارين" تعرف كل هذه المعلومات؛ لأنه سبق لها استخدامه مع أصدقاء يمتلكون قارباً مثله.

دخلت حتى نصفها في الماء لكي تتمكن من القفز في القارب، وضعت القدم على الدرجة الموضوعة أسفل الموتور. بخبرتها قدرت أن القارب "ميركوري" قدرته عشرون حصانا. جذبت خيط الإدارة مرتين دون أن تفلح. لكن في المرة الثالثة سمع صوت الموتور قوياً.

حلت "مارين" الطرف الذي يمسك القارب بالحبل المثبت على

صخرة. ثم بعد أن شغلت الموتور اتجهت خارج الخليج.

كان البحر أمامها بلا أمواج. دفعت "مارين" بالموتور إلى أقصى درجة. رفع الـ "زودياك" مقدمته، ثم خفضها: وقفز في البحر وانطلق نحو العرض. كادت الفتاة تجن من السرور. إنها تحب رياضة التنزه بالقارب إلى حد الجنون، وهي تمنحها سعادةبالغة. ثم رست على جزيرة صغيرة بدت لها خالية من الناس.

أبحرت بسهولة في خليج طبيعي وإذ غاصت في الماء، بلغت الشاطئ بعد ثلاث وحدات قياسية قد تعادل الواحدة منها ١,٦٢ متر.

كانت الجزيرة مكونة من صخرة ضخمة مسطحها قد تآكل بفضل العوامل الطبيعية إلى أن أصبحت مثل المدرج. أما سكانها فكانت بعض النوارس فقط وكذلك سحالي دقيقة سوداء. في غير تردد أرتدت زي السباحة؛ لكي تستفيد باشعة الشمس إلى أقصى حد ما دامت بعيدة عن أعين الناس.

تمددت "مارين" على حشية شاطئ كانت قد وجدتها في السفينة، وكانت الشمس والهواء يمتعانها بهدوء ووداعة، جعلها تطلق زفير ارتياح .ياله من عمل ممتع، هذاالذي يهبها إجازة ساحرة!

كان في مواجهتها، شاطئ كبير، تشاهد عليه مظلات متقاربة وكذلك فنادق ضخمة تفسد قليلاً المنظر الريفي الجميل..

كان خجل "مارين" يجعلها تميل إلى الوحدة.

كانت مبتهجة لأنها ليست محط أنظار كل أولئك السياح، لكنها بمفردها على جزيرتها الصغيرة. وكانت تمر أمامها مراكب الصيد، الـ "إيلو" – مراكب ذات شراع وموتور. و"مارين" تلاحقها بنظراتها.

كان هذا البحر الهادئ ذو الزرقة الفاتحةمع موجات أكثر عمقاً، يمنحها الرغبة في الاستجمام. وضعت قناعها وزعانفها في قدميها لتسهيل السباحة، كانت قد أحضرتها معها، وغاصت. كان الماء دافئاً.

وكان في قاع البحر بقع سوداء أربكتها، اقتربت منها: إنها توتياء البحر! كان من الأفضل ألا تضع القدم على أشواكها. مقابل ذلك،

رغبت أيضاً في أن تصطاد بعضاً منها؛ لأنها تعشق فواكه البحر ذات الطعم اللذيذ.

" في المرة القادمة عندما آتي – هكذا وعدت "مارين" نفسها– ساطلب من "ماجدالينا" أن تعد لي خبزاً وزبداً، وسوف أتناول توتياء على "جزيرتي الصغيرة".

وها هي شبعت مسبقاً لمجرد التفكير في هذا.

ثم عادت إلى الشاطئ وتمددت من جديد ، مقدمة جسمها لملاطفة الشمس.

كانت "مارين" قد حرصت أيضاً على إحضار خريطة "ماجورك".

فردتها في تكاسل و– بعد أن رقدت على البطن – تفحصتها لكي تختار نزهاتها المستقبلية . لقد أحبت بالتأكيد هذه الجزيرة البهيجة، وبدأت تفهم السبب الذي يدفع من لهم أملاك في هذه الجزيرة إلى المجيء إليها كل عام بلا ملل.

تتبعت بأصبعها على الخريطة الخطوط الحمراء والصفراء ، وهي الطرق المؤدية إلى نقط الجزيرة.

وإذا باسم يلفت نظرها : "ساناكور". إنها مدينة اللآلئ والمجوهرات الحرفية، كانت "رين كاسار" قد حدثتها عنها وهما في "فالديموزا" ، وأوصتها بأن تتوجه إليها.

وهي تتكون من ثلاثة محلات ، اثنان منها محلا مجوهرات ؛ حقاً إن هذه المدينة "حلم المرأة". هكذا كانت قد وصفتها لها.-" وأكثر من ذلك– أحلام محققة ، لأنهم يقومون فيها بأعمال الصدف وسن الفيل والأحجار الثمينة بطرق فنية، وهذا يسمح بالحصول على أشياء نادرة لا توجد في أماكن أخرى وبأسعار معتدلة"

"وجب أن أستفيد ، هكذا فكرت الفتاة ، بيوم يكون أثناءه "دون جوان" في البحر . سأرحل في الحال دون أن أتناول الغداء. إنها مع ذلك على بعد ستين كيلو متراً. ورحلات أخرى كانت تغريها : الجزيرة – وهي متغيرة جداً– تقدم لها جبالها ، منحدراتها ، موانيها ، شواطئها.

لو استمر "جان دي سيز" في الظهور بنفس الروح الودود– كما كان عليه ليلة أمس– لأصبحت هذه الشهور الثلاثة أكثر شهور السنة متعة في حياة "مارين". غير أنها ، عندما كانت تتذكر عازف البيانو كان من الصعب أن تمتنع عن الإحساس بنفس هذا الحزن الذي أحسته لأول مرة في "فالديموزا".

وها هي تفكر في دهشة مرة أخرى أنها لم تسمع عازف البيانو يقوم بالعزف منذ وصولها. إن هذا السكون غامض كأنه سر. ألم يكن كذلك؟

إذن.؟ كيف تمت هذه الرحلة؟

عادت "مارين" وهي مازالت تشعر بدفء الشمس ، شعرها مبتل بماء البحر ، ملتصق بكتفيها العاريتين وقد اتخذتا لوناً برنزياً؛ جنية البحر ذات السيقان الجميلة التي يكشفها لباس البحر. في الممر الصاعد نحو المنزل المتعرج خلال أشجار الصنوبر ، التقت بـ "جان دي سيز" ؛ وكان هو أيضاً نازلاً إلى البحر.

عارياً، عدا شورت أسود ، كان يسير بعصبية حيوان متوحش لا يعرف الراحة. غير أنه توقف عندما رآها، أما وجه الفتاة فكان مشرقاً بابتسامة طفولية.

ألقى إليها نظرة إعجاب واضحة ، جعلتها تشعر بأنها أكثر عرياً، ولم تمتنع عن الإحساس بالخجل؛ لذلك علت الحمرة وجنتيها،وقال:

– إنك بالتأكيد أفضل من تذكرك على هيئة سكرتيرة نموذجية.

وفي جدته أضاف:

– ومع ذلك ، أنت سكرتيرة ممتازة، ولا يسعني إلا أن أقدم لك كل امتناني على عملك الممتاز.

ثم أبدى ابتسامة بها شيء من السخرية:

– إن، في إمكانك التخلي عن الشينيون المفزع، وعن فستانك الذي لفتاة رزينة ؛ لن يغير ذلك شيئاً في علاقتنا .

وبدلاً من أن يتجه نحو الشاطئ، عاد عازف البيانو وصعد مع

"مارين" ومن فرط لهجته الودية كانت تجيبه بنفس اللهجة ضاحكة، غافلة للحظة أنها تعمل عنده:

– هذا وعدي، من الآن فصاعداً سارتدي جينزا وشميزيه. وساترك شعري على كتفي!

كانت الشمس قد بدلت بشرة "دون جوان" إلى حد جعله أشبه بتمثال برنزي متحرك. وعلى الرغم من أن طوله متر وتسعة وستون سنتيمتراً، إلا أن "مارين" كانت تصل إلى مستوى كتفه. كانا يسيران كلاهما بنفس الخطوة البطيئة– في تراخ – أشبه بثنائي عائد إلى منزله بعد نزهة بحرية.

انقبض حلق "مارين" من التأثر. لم يسبق لها أن شعرت بأنها قريبة من أي إنسان، عدا والدتها. من أجل ذلك تجرأت وسألته في خجل:

– كيف يحدث أنك لا تعزف على البيان؟ إن عازفا مشهوراً مثلك.

ثم توقفت فجأة وفمها مفتوح على صرخة عذاب انتزعها منها الألم.

كان "جان" قد قبض على معصمها بشدة حتى إنها شعرت وكأنه كسر. صاح ثائراً:

– فيم تتدخلين؟ كيف يحدث– وأنت سكرتيرة – أن تجرئي وتحدثيني عن الموسيقى؟ ربما ترغبين في منحي بعض النصائح؟ انصرفي من أمامي!

كان قد جذبها إليه في غلظة لكي يكلمها؛ وفي ثورته دفعها تاركاً معصمها في نفس الوقت. سقطت "مارين" على الأرض؛ لأن توازنها اختل، لكن دون أن يهتم "جان دي سيز" بذلك. انصرف بخطى واسعة نحو البحر.

تململت "مارين" وهي تدلك ذراعها التي تؤلمها، وبكت من الألم والمذلة. قبل ذلك ببضع ثوان كان عازف البيانو يبدو ودوداً، لطيفاً. وها هي أيقنت أنها بالنسبة له ليست أكثر من الآلة الكاتبة التي تستخدمها!

لكن – حتى إذا كانت قد أخطأت بأن حدثته على هذا النحو. إذا كانت قد غفلت لثوان عن أنها– كما قذفها مواجهة– "سكرتيرته ليس إلا" فهل يعتبر ذلك مبرراً لإهانتها؟ وهي ممددة إلى النصف على

أوراق أشجار الصنوبر الساخنة من حرارة الشمس، بكت مثل فتاة صغيرة مهملة.

ولم يكن لا الألم الموضعي، ولا ما أحسته من مذلة ما يضايقها، إنما شيء آخر لم تستطع أن تفسره بوضوح.

"آه! يا أمي!" هكذا تمتمت. ليتك كنت بالقرب مني يا أمي كي تواسيني وتعاونيني على رؤية الأمور وما بداخلي بوضوح!"

عادت بذاكرتها إلى مرحلة الطفولة، عندما كانت وهي صغيرة تستمع باهتمام إلى إحدى أسطوانات "جان دي سيز" بينما كانت أمها تداعبها قائلة "صدقيني إنك تحبينه يا عزيزتي"!

وعلى الرغم من حرارة الجو شعرت "مارين" بأنها أثلجت. لقد فهمت ما حدث لها: إن والدتها كانت لا تعتقد أنها تحسن القول في أنها فعلاً تحب عازف البيان منذ فجر طفولتها. وها هي الآن، الآن – وبمحض المصادفة – تعيش بالقرب منه، لقد أصبح هذا الحب الطفولي حب امرأة.

فجأة، أدركت سبب ما خلفته عندها فترة بعد الظهر التي قضتها مع "رين" و"جان" من حزن. كانت قد شعرت حينئذ بالصداقة نحو المطربة وفي الوقت نفسه كانت تغار منها بشدة.

"كيف يفكر في" أو يلتفت حتى إليّ – هكذا فكرت في هزء. بينما في حياته هذه الفتاة وهي ليست جميلة فقط إنما مشهورة أيضاً. هذه الـ "رين" وهي امرأة بكل ما تحويه من إغراء، وليست مجرد فتاة صغيرة!" لكن هناك، ماهو أسوأ من ذلك: "جان دي سيز" – وهي واثقة بذلك– يحتقرها ويمقتها في نفس الوقت. وإلا فلماذا يتصرف معها على هذا الشكل؟

تذكرت في بأس الرجل ذا السحر والإغراء الذي اكتشفته في المنزل الريفي. لكنه كان مع الزوجة التي يحبها:

"فهد – هكذا جاء تفكيرها في إحباط– يظهر المودة (بإخفاء مخالبه) أو أنه يظهرها، حسبما يحب الشخص أو يكرهه".

نهضت في بطء – وكان وجهها مازال مبللا بالدموع – واتجهت نحو المنزل.

وعندما اقتربت سمعت صوت "ماجدالينا" تناديها من صحن الدار:

– يا آنسة يا آنسة.

ماذا تريد منها بعد؟ ماذا حدث؟

أسرعت نحو المنزل. أشارت لها الماجوركيّة بأصبعها نحو التليفون.

– بارافوس. (من أجلك)

من أجلها؟ من من الممكن أن يطلبها هنا؟ عسى ألا تكون أمها قد أصيبت بمكروه! أمسكت بالسماعة بيد مرتجفة. سمعت عبر خط التليفون صوتا ظنته في البداية صوت رجل، يقول في ضيق:

– في النهاية يا "ماجدالينا" أعطيني هذه الصغيرة.

قالت "مارين":

– إنها ليست "ماجدالينا". إنها.

– قاطعها الصوت الذي عرفته.

– آه. إنه أنت يا محبوبتي.

ليس ما يجعلها تتردد في أن هذه النبرات الدافئة لصوت هادئ، إنما هي لـ "رين كاسار".

واصلت المطربة:

– كنت أرغب في الاتصال بـ "جان". ولما قيل لي إنه خرج طلبت أن أتصل بك إنه أمر قهري؛ وجب أن تخبري "جان" بأني في انتظاره مساء الخميس للعشاء.

ثم أضافت:

– بلا خطأ!

قالت "مارين" بصوت مرتجف وهي تحبس دموعها:

– حسناً جداً. سأكتب له كلمة و"ماجدالينا" تضعها له في حجرته.

بذلك سيخطر فور عودته.

بذلك– لإضافة المزيد إلى آلامها، ها هي تستخدم الآن وسيطة بين العاشقين. لم تتمن الفتاة شيئاً آخر سوى أن تخفض سماعة التليفون، وتذهب إلى حجرتها، تغلق بابها عليها، وتستسلم للنحيب.

لم تكن المطربة متعجلة مثلها: سعلت بشدة، ثم خفضت الصوت كمن لا ترغب في أن تسمع وهو ما جعل "مارين" تقرب السماعة من أذنها.

– ينبغي له أن يعلم أني أرغب في مجيئه؛ لأن "جي" سيكون هنا.

وكان الصوت قد ارتفع وعلى ما يبدو أنها الآن في غاية السرور:

– اسمعي يا عزيزتي. ليس سواك من يمكنني أن آمنه على أسراري: "جي"، هو الرجل الذي يجعلني أخشى الصحفيين! بمعنى آخر– هكذا أضافت بنبرة هادئة– إنه الرجل الذي أحبه. أو أرغب حتماً – هكذا أكدت – في أن أجعل "جان" يتعرف إليه!

ومن جديد رن صوت "رين" في سماعة التليفون:

– آلو، آلو. هل مازلت على الخط يا "مارين"؟

– نعم نعم.

– هل فهمت؟

– نعم سأنقل له رسالتك. كوني مطمئنة.

وأضافت في لطف قبل أن تخفض السماعة:

– وأتمنى لك كل السعادة!

وإذا بضحكة أشبه ما تكون بصهيل حصان، أجابتها، غير تاركة أي شك في الموضوع

بذلك– على عكس ما كانت "مارين" اعتقدته– "جان دي سيز" ليس محبوب المطربة. إنما ببساطة صديق لها! خيل إليها أن السرور يسري مثل سائل سحري في عروقها.

وإذا بهذا الينبوع – ينبوع السعادة– يجف فجأة: سواء أحب "رين" أم لم يحببها، هذا لا يغير شيئاً بالنسبة لها.

أعاد معصمها – الذي كانت قد غفلت عنه– "مارين" إلى حقيقة

أنها "سكرتيرة" "جان دي سيز" – هكذا فكرت في مرارة – ليست سوى ذلك وهذا يعني أنها ليست شيئاً بالنسبة له! ثم في يأس، تحققت الفتاة من أن هذه الشهور الثلاثة التي سوف تقضيها بالقرب من الرجل الذي تحبه كادت تكون جحيماً بدلا من أن تكون جنة. ثم اتجهت ببطء نحو صحن المنزل، ممسكة معصمها بيدها الأخرى.

كانت الشمس قد غابت، والظلام ساد في الخارج، باسطاً أجنحته السوداء على المسكن.

اقشعرت "مارين". لقد خيم لغز على هذا المنزل الذي ظنته قد جعل للسعادة.

الفصل السادس

"ماذا سأعمل"؟

بعد أن قضت ليلة سيئة، أخذت "مارين" تقلب هذا السؤال في ذهنها للمرة المائة، عاجزة عن العثور على أي رد.

كان "جان دي سيز" قد قذفها بقوله: "هيا اذهبي بعيداً عني إلى الجحيم!"

هل معنى ذلك أنه يجب أن تعد حقائبها وترحل. أو أنها ببساطة جملة قيلت في لحظة ثورة؟ هل من الواجب عليها أن تقدم له اعتذارها؛ لأنها تدخلت فيما- هذا في نظر الموسيقار – لا يهمها بقدر ما هو يجهل أنها هي أيضاً عازفة بيانو؟

وبخت نفسها. الحقيقة هي- مع معرفتها الجيدة بأنه عليها أن تبتعد عن هذا الرجل- افتقارها إلى الشجاعة اللازمة لتركه. بطريقة آلية أعادت عمل الشينيون في شعرها، وكان قد طلب منها ألا تعمله بعد الآن. لم يهم الآن؟ أخذت تسحب من شعرها المشابك التي به بيدين متعبتين، تاركة شعرها ينزل على كتفيها. نظرت في قلق إلى معصمها المنتفخ، المتألم هل سيسمح لها بالكتابة على الآلة؟ إذ كانت تجد

صعوبة في تحريكه. وقفت أمام باب حجرتها مترددة فيما سوف تقوم به، ثم عادت إليها شجاعتها بعد ذلك: من الأفضل مواجهة الفهد في قفصه:

ستتوجه كالمعتاد إلى المكتب الصغير حيث لابد أن يكون "جان دي سيز" في انتظارها. كان لها خمس دقائق تأخير. سترى ماذا سيقول. أما عن تصرفها فسوف يتوقف على سلوك وتصرف رئيسها في العمل معها.

لكن – على الرغم من إرادتها الثابتة- ارتجفت يدها على زر باب المكتب. فتحته: الغرفة خالية. من البديهي- على الآلة الكاتبة – كانت موضوعة ورقة مسطر عليها- بخطه الكبير – هذه الكلمات:

"برجاء العفو عما صدر مني من جفاء مساء أمس. لكن إذا أردت أن تظل علاقتنا ممتعة، فلا تتكلمي أبداً عن الموسيقى."

"أبداً" كان تحتها عدة خطوط في عصبية.

أطلقت "مارين" زفيرا رغماً عنها: ها هي قد اطمأنت وفي الوقت ذاته أوشكت أن تبكي. إنه لا يرفضها، كما تخشى، لكن الأمور قد وضحت. سوف تمكث ثلاثة شهور موظفة نموذجية خلال ثلاثة شهور. وفي النهاية، سوف يقول لها "إلى اللقاء، وشكراً" وبذلك ينتهي الأمر. ولا شك في أنها لن تراه بعد ذلك. إلا في حفلاته الموسيقية؛ هذا إذا كانت لها الشجاعة أن تذهب لسماعه.

في ملحق للرسالة، كان عازف البيانو قد أضاف: "ساسافر لمدة يومين أو ثلاثة أيام" أثناء غيابي، اكتفي بالرد على الاتصالات الهاتفية؟سعدت "مارين" بهذه الأيام الحرة التي ستسمح لها باستعادة راحتها، وأن تعود "مارين" سكرتيرة، وأن تنسى أنها "مارين" عازفة بيان. لكن أفي إمكانها أن تغفل عن أنها تحب "دون جوان"؟

أصبحت لا تشك في ذلك، وهذا من الغيرة التي استبدت بها، إن عاصفة هوجاء تدمرها: أين هو؟ إلى أين ذهب؟أين ومع من سيقضي هذه الأيام؟ بالقرب من امرأة بالتأكيد.

لم تخطئ الصحف عندما تقدمه مثل شخص جذاب: "جان دي

سيز" أو "دون جوان"؟ هكذا كانت قد أشارت إحدي الصحف،متلاعبة باسمه الإسباني .

ما الذي سوف تعطيه مقابل أن تجلس أمام البيان، أن تضع أناملها على أصابعه، وأن تنسى كل شيء وهي تعزف عليه! لكن – حتى في غيابه– غياب العازف ، الموسيقار الكبير– "مارين" لا تجرؤ على ذلك .أولاً لأنها بطبيعتها لا تندم على القيام بأي عمل في الخفاء ، ثم من الممكن أن تخبر "ماجدالينا" رئيسها بالأمر في بساطة .

اقشعرت أمام فكرة ثورة "جان دي سيز" عندما يعلم ذلك؛ إلى أين ستصل هذه الثورة؟

عادت من جديد ، لكي تتساءل لماذا تسبب السؤال الذي وجهته له في إثارته على هذا النحو ؟ لانه حقاً رجل لا يضبط أعصابه ، كما اتضح عندما قبض على معصمها حتى كاد يكسره . حتى مع التسليم بأن السكرتيرة ليس من حقها أن تتدخل فيما لا يعنيها بالنسبة لشؤون رئيسها، لا يعتبر هذا سبباً كافياً يبرر مثل تلك الثورة. وهكذا ظلت نفس الأفكار تلاحقها مثل طيور سوداء كبيرة، تحلق حولها . لماذا لا يقوم "جان" بالعزف بضع ساعات على البيان يوميا وهي إجبارية على كل عازف؟ ولماذ –حدث أكثر غرابة – يرفض أيضاً كل الحفلات التي تطلب منه؟ أتت إلى ذهنها فكرة سوداوية:

هل عازف البيانو يعلم أنه مصاب بمرض عضال؟

شعرت بحلقها يغلق من شدة الأسى ، حتى كادت تخور . ثم تمالكت نفسها؛ لا يمكن أن يكون كذلك : على الموسيقار – هكذا بدا لها– حتى في مثل هذه الحالة ، أن يعزف حتى النفس الأخير من حياته.

ألم يكن "شوبان" مثالاً لذلك؟

هزت كتفيها، وقد فهمت كم أنه سبب ساذج ، هذا الذي اتخذته لكي تبعد عنها صورة السيدة غير المحتملة! ألا يتصرف كل رجل حسب طباعه؟ ومع ذلك بدا لها – أكثر احتمالاً– أن ألماً أصاب أنامل الموسيقار . بداه اللتان بدونها يصبح لاشيء . تذكرت أنها عرفت –

عندما كانت في معهد الموسيقى "الكونسرفاتوار" أن عازفة كمان ، كانت مصابة بروماتيزم في الأصابع ، تطورت الإصابة إلى أن تغير شكل المفاصل ثم شلت تماما. تذكرت ما عانته هذه السيدة من الآلام ، وكذلك نهايتها المأساوية: لما عجزت عن العزف على الكمان انتحرت .

ترى هل هذا هو الذي أبعد "جان دي سيز" عن مهنته، وجعله يتخلى عنها؟ تذكرت الفتاة يديه . أجمل يدي رجل رأتهما في حياتها . فهي نحيفة وقوية ، تلمس أصابع البيانو وكأنها تلاطف جسد فتاة.

سرت في جسمها قشعريرة عندما تذكرت الليلة الماضية.

كان "جان" قد وضع يده– لمدة ثوان– على كتف الفتاة العارية؟ حركة طبيعية لا تتضايق منها ، لكنها أربكتها في الأعماق . وتقريباً في الحال، أصبحت هذه اليد، تلك القبضة المعدنية؛ التي سحقت المعصم . لو كانت هذه الأصابع مصابة ، هل كانت ستجد هذه القوة الجهنمية؟

استعادت المشهد : هذه الثورة التي تغير من جمال وجه الموسيقار ترى هل هو مسؤول بالتمام عن ثورة تفقده القدرة على السيطرة على نفسه؟ أليس الخوف من أن تعتريه إحدى النوبات وهو في المجتمع ، هو الذي يبعده عن العزف؟ من هو حقاً "جان دي سيز"؟ مريض؟ رجل عنيد ، متكبر،حائر،أو . أو أنه شيطان؟

*****

في صحن الدار، كان كل شيء في مكانه : الخبيزة الوردية في حالة ازهار ، الشمس ، البحر الذي يلمع من خلال الأقواس. وكان جماله يبدو كأنه يرغب في استقبال ومصالحة الفتاة.

جلست إلى المائدة الصغيرة حيث كانت "ماجدالينا" مستعدة لكي تقدم لها الطعام . مع من يتناول "جان" وجبة الغداء؟ ها هي الغيرة تأكلها من جديد ، وجعلتها تنسى كل ما زاد على ذلك.

ربما تكون "ماجدالينا" على علم . التفتت الفتاة نحوها . شعرت

"مارين" بالخجل مما تسعى إلى القيام به، ومع ذلك كانت غير قادرة على الامتناع عنه.

سألتها بالإسبانية في شيء من التردد:

– من هم الأصدقاء الذين يذهب إليهم "دون جوان"؟

حينئذ بينما كانت ترفع الشوك من لحم السمكة التي أمامها، خفق قلبها بشدة. ترى ماذا سيكون الرد على سؤالها: هل اسم امرأة هو الذي سوف تنطق به "ماجدالينا" كانت "مارين" تترقب هذا الاسم على شفتيها. لكن "ماجدالينا" أبدت ابتسامة عريضة.

– "أميجوس" نو. إس كون "أنطونيو" آل مار (ليس له أصدقاء. إنه مع "أنطونيو" في البحر)

– "دون جوان" في البحر مع "أنطونيو"؟

من فرط دهشتها تكلمت بالفرنسية، غير أن "الماجوركية" فهمت ما تقوله. حكت رأسها.

– بيسكاندو آن ديا .. دوس .تريس

– هكذا ببساطة، كان عازف البيانو قد مضى للصيد ليوم، أو يومين أو ثلاثة أيام. كما كتب لها. ليس في ذلك غموض، ولا سر، أي لا وجود لامرأة ما.

بدت الشمس في عيني "مارين" أكثر إشراقاً. لكنها بالتأكيد لم تكن فخورا بنفسها: ألم تستغل سذاجة وبساطة الخادمة، التي بكل صدق وافتها بالحقيقة؟ ومع ذلك، على الرغم مما كانت تشعر به من خزي، لم تمتنع من جديد أن ترغب في استجوابها. كما أن "ماجدالينينا" مستعدة لذلك من تلقاء نفسها لأنها تتضايق بمفردها– مع غياب "أنطونيو"– وكانت لا تطلب إلا البقاء مع الـ "سينيوريتا" وأن تثرثر معها.

فكرت "مارين" بأنها– بالتحدث مع "الماجوركية"– ستعلم الكثير عن رئيسهما. بلا شك "ماجدالينا" في خدمته منذ فترة طويلة، بعد أن امتدحت إعدادها للطعام، هذا ما سألته إياها:

(ما يفيد بانها تسأل عن مدة خدمتها ولكن بالإسبانية) ضحكت السيدة وأجابت أمام دهشة "مارين":

– آن ميس.

شهر واحد فقط لم يلتحق "أنطونيو" وهي أيضاً بخدمة "دون جوان" إلا منذ قليل، قبل أن ترتبط "مارين" بالعمل كسكرتيرة. فكان ذلك مانعاً للسؤال الذي كانت سوف توجهه. إنهما لا يعرفان عنه أكثر مما تعرف هي، بل أقل بالتأكيد.

فكرت الفتاة بانها عوقبت على فضولها وان هذا تم لصالحها. غير أن هناك أمراً يفاجئها: إنها مثل الخدم، كلهم جدد.

كما لو كان "جان دي سيز" أراد أن يقطع صلته بالكامل مع السنوات الماضية، والا يبقي منها شيئاً. هل هي مصادفة أو أنه أمر مدبر حسب إرادة الموسيقار؟

أحضرت "الماجوركية" للفتاة قدح قهوة لا يوجد إلا في "إسبانيا" أو "إيطاليا": لذيذة، ذات رائحة طيبة (فواحة) وهي تقدم بكميات صغيرة. عندما تذوقته اعتقدت "مارين" أن كل شيء في حياة هذا الرجل عجيب، وان شهرته تجعل كل شيء عاماً.

دهشت الفتاة على الرغم من سرورها البالغ: لماذا لا وجود لعنصر النساء؟ ولا زيارة، ولا صورة عند رجل قد يعتبر جذاباً. وعلى النقيض مما كان يذاع عنه، كان "جان دي سيز" يحيا حياة الزهد، على الرغم من ان "مارين" لم تتجاوز التاسعة عشرة من عمرها، وعاشت في حضن أمها كثيراً، عرفت ما فيه الكفاية عن الحياة حتى تبدو لها كراهية الموسيقار للنساء لغزاً إضافياً.

مازالت "مارين" لا ترغب في الخروج، وهذا لأنها متأثرة بالمشهد الذي قام به "جان دي سيز" نحوها. شعرت بانها متعبة، يائسة، وفضلت البقاء في الشمس على مقعد طويل في صحن الدار، ما بين القراءة والنعاس.

كانت الساعة السادسة صباحاً عندما أتت إليها "ماجدالينا": فهي

مضطرة إلى الذهاب إلى القرية للقيام بالمشتريات ما دام "أنطونيو" غير موجود للاهتمام بذلك. ترى هل تتكرم الـ "سينيوريتا" بالذهاب بعد نصف ساعة للتحقق من أن الغسالة الكهربائية قد توقفت؟

بصفتها فلاحة ، يبدو أنها ليست لها ثقة كاملة بالآلات الكهربائية، طمأنتها "مارين" في الحال: في إمكانها الاعتماد عليها! عندما اطمأنت خرجت السيدة إلى السوق ، بعد أن شرحت للفتاة أين يوجد الغسيل.

بعد ثلاثين دقيقة، نهضت "مارين" ؛ للتأكد مما طلب منها.

كان السكون يشمل المنزل عدا صيحة أحد الطيور في الحديقة .

كان الدهليز الأبيض الذي سارت فيه "مارين" يذكرها باعتدال دير "فالديموزا" . تماماً مثل صوامع الدير ، كانت أبواب تفتح من كل جانب؛ والباب الذي يفتح على الغسالة كان الأخير عن اليمين كما وضحت لها "ماجدالينا" .

فتحته الفتاة.

تجمدت من الدهشة ، جلست على العتبة ، تنظر ولا تفهم ما شاهدته . لم يكن للحجرة شيء يدل على الغسيل. إنها غرفة فاخرة ، معدة ظاهرياً من أجل متعة شخص ما. كل ما فيها يشير إلى ذلك: السرير الكبير ذو الأعمدة الخفيفة، المكتب الإسباني ذو العشرين درجاً ، الشمعدانات الكبيرة . الستائر وهي من نسيج "ماجريك" .وهذا الشخص لابد أن يكون امرأة ، وامرأة محبوبة جداً حتى يعد لها هذا الديكور الخيالي. كل شيء هنا، كل أثاث يثبت ذلك: السرير ومازال مفتوحاً وعليه قميص نوم: حرير ودانتيل؛ الخف الصغير مازال على السجادة ، كأنه في انتظار قدمين دقيقتين رقيقتين ؛ الروب الجميل المناسب لقميص النوم، ملقى بإهمال على المقعد ذي المسندين؛- وعلى التسريحة – المشط العاج ، أدوات التجميل ، أواني الكريم المتعددة.

فهمت "مارين" في الحال خطأها . لأن عدم إجادتها للغة الإسبانية جعلتها تخلط بين "دريشا" (اليمين) مع "إزكيردا" (يسار) لابد أن الغسيل في الجانب الأيسر. لكن حالياً هي لا تفكر في الذهاب إلى

هناك ، من شدة دهشتها لما رأته.

ازدادت ضربات قلبها في صدرها . هكذا أخطأت . وبعكس ما تعتقد، فهناك امرأة في حياة الموسيقار تعيش معه.

كيف يحدث أنها لم ترها حتى الآن؟

الفصل السابع

أين المجهولة العجيبة التي لها هذه الحجرة ؟ لاشك أنها في سفر. وهل ستعود قريباً ؟ هذاهو التفسير الوحيد لعدم ظهورها .

كانت "مارين" منذ عدة ساعات قبل ذلك قد فكرت في أنه مستحيل أن يكون "دون جوان" بلا امرأة في حياته . إذن كان لا داعي لدهشتها لاكتشافها هذا. بالتأكيد ؛ لكن العقل لا يقاوم القلب، "مارين" لا ترى سوى شيء واحد : الرجل الذي أحبته ، أحب أخرى!

لم تأمل قط أن عازف البيان الشهير يهتم بشخصها المتواضع ومع ذلك فكرة أنه يحب واحدة أخرى ، كانت تربكها. كانت ومازالت على عتبة الحجرة عندما سمعت الدراجة ذات الموتور . ها هي "ماجدالينا" عادت من القرية .

كم من الوقت مكثت الفتاة جامدة بلاحركة على هذا النحو، على عتبة هذه الحجرة ، حجرة الحب: عشر دقائق ساعة ؟

كانت تعجز عن التحديد. أعادت غلق الباب بسرعة ، ذهبت إلى المغسلة – وكانت في المواجهة- لكي تراقب حسن تشغيل الآلة ، ثم عادت إلى صحن المنزل. وعلى الرغم من أشعة الشمس التي تتخلل الأشجار والزهور ، بدا لها ثلجياً وكتابها غير مسلٍ.

فكرت الفتاة – ذات لحظة – أن تذهب وتحكي لـ "ماجدالينا" ما اكتشفته حتى إن لم تكن في خدمة "جان دي سيز" إلا منذ شهر فمن المستحيل ألا تكون قد رأت المجهولة. أحد الأحداث لفت نظر "مارين" .

www.rewity.com

كيف يحدث أن الغرفة لم تعد ؟ أن تبقى هكذا غير مرتبة ؟كانت لا تجد تفسيراً لكل هذا . لم تفكر في التماس تفسير للأمر لدي الماجوركية لئلا تتعقد الأمور وهذه الأخيرة تخبر سيدها . ويكون من حق هذا الأخير تأنيب سكرتيرته على تدخلها في حياته الخاصة . وبما أنها عرفت طبعه، فمن الأفضل أن يجهل ما قامت به لا إرادياً من اكتشاف. عندما عاد "جان دي سيز" بعد يومين ، بدا كأنه قد تخلص من مزاجه السيئ بفعل ريح البحر.

كان يبدو – وبما له من صدر وقدمين عاريتين وشعره الذي تغير لونه من تأثير الشمس فيه أشبه بقرصان بعد أن قام بتفتيش سفينة، أو أنه قد غزا قلب إحدى الجميلات. أين هي جميلته هذه؟ هل هي موشكة أن تعود وهذا هو سبب وجود هذا البريق في عيني "دون جوان" الذي لم يسبق لـ "مارين" أن رأته فيهما؟

قال لها في مرح لم تعهده عنده قط:

– لقد قمنا بصيد يكاد يكون إعجازياً مع "أنطونيو" لقد أخبرتني "ماجدالينا" بأنك تحبين السمك. حسناً ستتمكنين من الشبع منه.

ألقى إليها نظرة . تلك النظرة التي يقيس بها الرجل المرأة ويقيمها.

– أراك، وقد أعدت شعرك على كتفيك.

أنت بذلك على حق .!

ثم هز كتفيه– ساخراً– لكن في غير شراسة:

– لم يسبق لي أن اعتقدت قط أن الشينيون يؤثر في الكتابة وفي الآلة، وفي الهجاء أو معرفة اللغة الإنجليزية.

على ما يبدو، لقد غفل عما كان قد صدر منه من عنف نحو "مارين" قبل انصرافه . بطريقة آلية، نظرت إلى معصمها . كان الورم قد زال عنه خلال يومين ، لكنه قد ترك آثاراً زرقاء واضحة.

ترى هل لمح نظرتها ؟ قطب حاجبيه ، أبدى حركة قد تكون تعبيراً عن الاعتذار – وفجأة– أضاف:

– سوف أمكث هنا اليوم. إذا شئت ، سنتناول الغداء معا

ابتسم لها، ابتسامة رجل لم ترفض له الفتيات رغبة، الأمر الذي ضايق "مارين" . إنه حقاً واثق بنفسه وما لبث أن أضاف في مرح:

– من البديهي، هذا إذا كنت تقبلينني على مائدتك.

أجابت بجفاف:

– المعذرة، إذا كنت أنت، أنت الذي ترغب في أن أكون على مائدتك. "دون جوان" .

رغبت في أن تضيف "لاشك في أن هذه الدعوة إنما هي بمثابة اعتذار. لأنك لويت معصمي لكنها لا تعفو عن أي شيء ، لا عن غلطتك ولا عن نذالتك" .

لكنها امتنعت ،لا فائدة من تسميم الأمور، وفي هدوء توجهت إلى مكتبه قائلة:

– "إذا كان لديك ما تمليه علي فأنا في خدمتك ، تحت أمرك" . مشيرة بذلك إلى أنها لم تغفل عن أنها ليست سوى سكرتيرته.

وأمام مائدة الغداء ، اختفى القرصان ، لكي يحل محله رجل المجتمع. كما أن المرح قد فارق عيني "دون جوان" وهو ما لمحته الفتاة. كيف يحدث أنها لم تلمح قبل الآن ما تعكسانه من حزن؟

وصلا إلى تناول التحلية دون أن يتبادلا سوى كلمات عادية . وإذا بالموسيقار يطلق صيحة سرور.

– "يان" ! هانت أخيراً ! ظننتك لن تعود أبداً. إنه قط. قفز على حائط صحن الدار . قط فارسي، بهامته البهية ، وأنفه الدقيق والشعر الذي يحيط بعنقه أشبه بأسد "صغير" . صدر عن القط "مياو" تعبر عن الامتنان ، و– من الحائط وفي غير تردد– قفز على كتف سيده . مع وصوله أخذ يقر مرحاً. لاطف "جان" القط الصغير الذي احتك به سعيداً.

– كان قد اختفى منذ عشرة أيام وكنت قد فقدت الأمل في عودته . كنت متأثراً جداً، لأني أحبه كثيراً.

وكان في صوت عازف البيان وفي عينيه رقة وحنان لم يسبق للفتاة مشاهدتهما " هكذا فكرت في مرارة ، ومع ذلك فهو كفيل بأن يحب

WWW.RWAYA.COM

أحداً ما، حتى لو كانت دابة". عاودتها رؤية حجرة المجهولة. نعم، إنه قادر أن يحب ، وبلا شك بحرارة.

كان القط يتفحصها بعينيه المستديرتين البرتقاليتين وفجأة – ودون أن يكف عن المواء– قفز من على ركبتي سيده إلى ركبتيها و– كأنه يعرفها من قبل– احتمى بها.

ألقى "جان دي سيز" إلى "مارين" نظرة دهشة .

– إنه يغار في المعتاد من كل من يقتربون مني.

لكن على ما يبدو أن الوضع ليس كذلك هذه المرة؛ لأن القط الفارسي وهو في قمة السعادة "أكل" على ركبتي الفتاة.

لاطفت الحيوان الجميل. قالت:

– إني أعشق القطط.

قال عازف البيان:

– مع ذلك أؤكد لك أنه قاصر على صاحبه ، إنه يكر . ثم توقف فجأة ، ونهض من المائدة وخرج دون أن يستأذن .

*****

استيقظت "مارين" في صباح اليوم التالي على صوت القط الضخم الذي كان يخربش باب صديقته الجديدة. كانت مازالت نائمة ، ذهبت لكي تفتح له. قفز في الحال على سريرها ثم احتك بها.

– حسناً – قالت وهي تلاطفه– أرى أنك اخترتني.

قر من السرور – وفي غير تردد– تبعها عندما توجهت إلى المكتب .

حينئذ أردف "جان":

– بالتأكيد أنا الذي أصبحت غيوراً.

وكمن يعطي الشخص أكثر مما يستحق، أتى القط وجلس على ركبتيه أثناء ما كان يملي على "مارين" الخطابات المطلوبة. توقف عازف البيان عند منتصف أحد الخطابات . وكم كانت دهشة "مارين" عندما سألها:

– بالمناسبة . سأتناول العشاء هذا المساء عند "جوزفين دي كرواي" الصديقة التي – أثناء غيابي– كتبت لك حتى تلتحقي بالعمل عندي. يسعدني أن تكوني معي. وبذلك تكون لك فرصة التعرف إليها.

أمسكت الفتاة نفسها عن الابتسام ، لقد بذل "جان" جهداً كبيراً وكم عانى من أجل الحصول على العفو منها أو على الأقل لقد أراد – في بساطة – الوفاء بالوعد الذي قام به مع "رين كاسار".

تساءلت "مارين" عما إذا كان عليها أن تقبل أو أن ترفض. لكن قبل أن تتخذ قرارها ، قال:

أعتقد أن عندك فستانا طويلاً. لأن سهرات الماجوركيات أنيقة إلى حد كبير.

بدافع من السرور الذي ملأها بأن تخرج مع "جان دي سيز" وافقت بايماءة من رأسها.

*****

كانت عمة الفتاة (أو خالتها) قد أحضرت لها من رحلة إلى "السنغال" فستاناً من الحرير الطبيعي، تختلط فيه كل درجات اللون الأخضر . فستان رائع . كانت الفتاة قد قالت– في هذه الفترة – إنها لن تجد المناسبة اللائقة لارتدائه ومع ذلك ها هي الفرصة قد أتتها لكي ترتديه وتخرج مع "دون جوان".

عندما أقبلت الفتاة إليه في الصالون مكث "جان دي سيز" صامتاً خلال ثوان. لكن عينيه كانتا تعبران عن إعجاب لا يحاول العمل على إخفائه. وهو ذاته كان ذا جمال أخاذ بقوامه الفارع ، المشوق. كان يرتدي بنطلوناً أسود من التيل وقميصاً من الحرير الأسود أيضاً ، وكانت تنزل على هذا القميص سلسلة فضية تحمل ميدالية قديمة.

"حالياً – هكذا فكرت "مارين" – لم يعد القرصان ، إنما أحد سادة عصر النهضة ؛ في كل بهائه وعظمته".

كانا في مواجهة الواحد للآخر– وكأنهما مسمران في الزمن– بلا

www.rewity.com مـر مـوريـ

كلام يتبادلان النظرات معجبين الواحد بالآخر.

أول من تمالك نفسه كان "جان" الذي نظر إلى ساعته. ثم قال:

– التاسعة يجب أن ننصرف. إنه ليس بعيداً. بجوار "آندراتكس" سأل الفتاة في مودة وهو يفتح لها باب الـ "مرسيدس" لكي تدخل:

– هل اعتدت المواعيد الإسبانية؟ الثالثة للغداء، العاشرة للعشاء، وفي ذلك ما يفاجئ فرنسية مثلك.

ابتسمت الفتاة:

– أجد ذلك ممتعاً جداً، بالعكس؛ لأن بذلك يبدو اليوم أطول.

بعد ذلك لم يتبادلا كلمة واحدة حتى وصلا إلى الفيلا التي يقصدانها. شعرت "مارين" – بما لها من استبصار الفتيات العاشقات بجاذبية متبادلة بينهما. كانت على يقين بانه إذا مال عليها "جان"، فسوف تقدم له شفتيها من أجل قبلة، متناسية كل شيء.

علمت "مارين" – مما لحق بها من ارتباك– بانها ترغب في حماس في شيء ما، حتى لو نالته، لن يكون إلا عابراً، زائلاً. وسيطر عليها حزن عميق وكادت تندم على قبولها هذه الدعوة، ومع ذلك كانت ترغب في أن تعيش هذه اللحظات التي سوف تتذكرها دوماً.

عندما وصلا كان هناك نحو عشرين شخصاً في ملابس السهر متجمعين على شرفة تطل على البحر. وكانت الشموع المضاءة تخلق في المكان جواً من الدفء والهدوء، مانحة السيدات مزيداً من الجمال بالضوء الذي تلقيه عليهن، وكانت أيضا تحد مما لقسمات وجه الرجال من جفاف. أغلبية الحاضرات تركن البوفيه الفاخر الذي يتصدره لحم مشوى، متجهات نحو عازف البيان، الذي على ما يبدو أنهن يعرفنه جيداً. قام "جان دي سيز" بتقديم "مارين" لهن. لكن ها هي بشاشته قد توقفت عند هذا الحد. إذ إنه تخلى عن الفتاة بسرعة، يكاد يهرب منها، وتوجه لكي يجلس إلى مائدة مع بعض الأصدقاء.

في لطف اقتربت ربة المنزل وهي سيدة في خمسيناتها، شقراء، من "مارين"، أمسكت بذراعها وقادتها نحو البوفيه.

– تناولي ما يعجبك. لقد طالبتهم بإعداد عشاء ماجوركي وستشاهدين أن أطباق الجزيرة لذيذة. ثم أشارت إلى قطعة سوسيس، وقالت لها: تناولي هذه. وأوصيك أيضاً بهذا الديك المحشو.

أشارت لها إلى أحد الأفران في الهواء الطلق، أشبه بفرن إعداد الخبز. وكانت تملأ لها طبقها وهي تتحدث إليها.

– أتعشم أنك ستحبين كل ذلك. صبّي لنفسك شراباً. هو أيضاً من الجزيرة، وسترين كم هو لذيذ!

ثم التفتت نحو أصدقاء آخرين تاركة الفتاة حائرة، بإحدى يديها طبق وباليد الأخرى كوب.

اتجهت "مارين" نحو مقعد من الحجر مخفي في ظل شجيرة خبيزة حمراء. هذا الركن من الشرفة يطل على ميناء "آندراتكس". بعد أن وضعت طبقها وكوبها بالقرب منها، وقفت الفتاة تتأمل الميناء الصغير المضاء بنور القمر حيث تتأرجح في هدوء بعض العبارات واليخوت؛ ودون أن تدري أن جمالها قد جذب إليها المدعوين.

أتت إلى مسامعها أصوات صادرة من المائدة الموجودة خلف الشجرة بكلمات غير واضحة، كانوا يتحدثون عن مأساة على ما يبدو أنها تخص أحد المدعوين؛ كما وصلت إليها بعض الكلمات تحملها الريح. "قصة مأساوية. كانت سوف تزداد سوءاً إذا كان البوليس لكن هذا يكاد يحطم حياته ومهنته." كانت لن تعير ذلك اهتماماً إن لم تكن قد سمعت فجأة اسم "دون جوان"، وقد نُطق بصوت قاس، قد أنذرها. هل كانوا جميعهم يتكلمون عنه؟ ربما ستحصل أخيراً على مفتاح اللغز، لأنه لابد من وجود ذلك؛ وكانت واثقة به في هذه اللحظة، بدا رجل في الأربعين من عمره، عرفته لأن "جان دي سيز" كان قد قدمه لها. دار هذا الأخير حول الشجيرات التي تخفيها ومحها.

ثم بصوت قوي، صاح:

– ها هي سكرتيرة صديقنا "جان دي سيز" الرائعة تجلس بمفردها.

– تفضلي بالجلوس إلى مائدتنا يا آنسة.

– لم يخف على "مارين" أنه أخطر أصدقاءه بوجود الفتاة، لأنهم غيروا مجرى الحديث في الحال. من البديهي أن أصدقاء عازف البيان حرصوا على ألا تعلم سكرتيرته شيئاً عن الأمر لكن ماهو؟

الفصل الثامن

– أنصحك بزيارة مدينة "بالما" القديمة . هكذا قال "جان دي سيز" . إذ إن أغلب شوارعها خاصة بالسير على الأقدام وهو ممتع جداً، خاصة أنها على نفس الوضع الذي كانت عليه منذ قرن أو قرنين. أما عن الكاتدرائية التي لمحتها عند وصولك ، فهي من أروع إنتاج الفن القوطي

كان قد انتهي من تلقين "مارين" بريد الصباح –وجالساً في مقعد ذي مستديرين– كان يداعب فروة "يان" الكثيفة بأصابعه .

كان هذا الأخير ، بعد غياب عشرة أيام يبدو كأنه لا يرغب في مغادرة المنزل ، كان يثرثر في هدوء .

لمحت الفتاة أنه أقل عصبية في هذه الآونة وأكثر مودة معها. والدليل على ذلك أنه كثيراً ما كان يجلس لمبادلتها الحديث عن العديد من الأمور، ينتقل من موضوع إلى آخر . لكن ليس عن الموسيقى أبداً، وهو الموضوع الذي حرصت على ألا تتعرض له !

بالإضافة إلى ذلك – هكذا واصل "جان" – ستجدين في هذه الأحياء القديمة العديد من البوتيكات، في إمكانك شراء أشياء جميلة جداً منها وبأثمان معتدلة. وضع القط على الأرض. ماء هذا الأخير في اعتراض.

وقف عازف البيان أمام النافذة، ينظر من الفتحة الزجاجية . وبذلك كان يقدم وجهه. " اليوم، هو وجه قائد مرتزقة " هكذا قررت "مارين" . "متعاظم ، جريء ، وقح ومتراخ" .

ترى ما هي الأفكار التي يخفيها هذا الوجه الجميل ، الحزين؟

التفت عازف البيان نحو سكرتيرته؛ تردد– كان يبدو هكذا– في أن

يخبرها بأمر ما. لكنه صمت.

لقد لاحظت "مارين" ذلك عدة مرات: كلما كان موشكاً أن يفصح بأمر ما كان يخمد هذه الرغبة في داخله . وكما كان يحدث في كل مرة ، خرج بسرعة دون أن يقول لها إلى اللقاء وأغلق الباب على القط الذي يتتبعه .

شعر "يان" بالمهانة إزاء هذا الاحتقار ، التفت نحو الفتاة، معبراً عن أفكاره بمواء قوي. ضحكت "مارين" وهي تلاطفه لكي تصالحه.

كانت تشعر بمودة نحو القط. وهو أيضا ، سوف تتركه خلال شهرين ونصف الشهر لكيلا تراه بعد ذلك هو وسيده.

اعتراها حزن عميق أقرب ما يكون إلى يأس تام. ولكي تقاومه قررت اتباع نصيحة "دون جوان" بالذهاب لزيارة "بالما" . وبعد أقل من ساعة ، ركبت الـ "فولفو" المزودة– بفضل عناية – "أنطونيو" ببطاقة تحمل نصائح ثمينة. الأفضل– هكذا كان قد نصحها الماجوركي– هو أن تضعي السيارة في جراج موجود في بداية الـ "رامبلا" .

– الـ رامبلا" ؟ هكذا سألت الفتاة. ماذا تقصد بذلك؟

نظر إليها دهشاً ، عندما وجدها تجهل ما يوجد في كل المدن الإسبانية: هذه المشاية الكبيرة المفروشة بالأشجار على الجانبين وحيث يميل الشبان والمسنون إلى التنزه فيها. كما كان قد قال مؤكداً:

– أي شخص في "بالما" في إمكانه أن يدلك على مكانها.

ومن الجراج ، ستأخذ المصعد الذي يصعد بها إلى ميدان فسيح مغلق: الـ "بلازا مايور" . كل المدينة القديمة تقع حوله– هكذا قال لها أيضاً.

وها هي الآن في الميدان الفسيح ذي البلاط الوردي، والأقواس المفتوحة على الشوارع القديمة.

وقفت الفتاة حائرة ، تنظر حولها . أي شارع ستختار لكي تبدأ زيارتها؟

انتفضت لأنها شعرت بيد تستقر على ذراعها وصوت رخيم من خلفها، يقول:

– أراهن أنها المرة الأولى لمجيئك إلى هنا.

التفتت، وإذا بفتاة مبتسمة تمد لها يدها.

"مارين" قد تعرفت إلى إحدى مدعوات العشاء في "أندراتكس":

"فرانسواز"، وهي فرنسية تبلغ من العمر بين ثمانية وعشرين عاماً إلى الثلاثين، لها منزل في الجزيرة تعيش فيه مع زوجها. كان واضحاً أنها تعرف هذه المنطقة جيداً، وأنها تحبها كثيراً.

اعترفت الفتاة قائلة:

إنها حقيقة. لقد نصحني "جان دي سيز" بالمجيء لزيارة منطقة "بالما" القديمة، لكي أشعر بأني تائهة بعض الشيء.

اقترحت عليها "فرانسواز"

– أترغبين في أن أقوم معك بدور المرشدة؟ لدي بعض المشتريات مضطرة للقيام بها، لكن في الحقيقة، لقد أتيت إلى هنا من أجل التنزه؛ لأني أعشق هذه الشوارع. إذ إن بعضها– وهي التي سترينها أولاً– مرحة، مزدحمة، لأن أهل المنطقة والسياح يفدون إليها من أجل المشتريات: بينما غيرها بالعكس – خاصة تلك التي تحيط بالكاتدرائية– ساكنة، ذات منازل عالية، نوافذها دائماً مغلقة، ولا نقابل فيها أحداً تقريباً، لكن قد يُشاهد أحياناً– خلف باب ثقيل– صحن دار مزدان بالزهور تتوسطه نافورة يصدر عنها صوت خرير مياهها انتهزت "مارين" هذه الفرصة غير المتوقعة، بالإضافة إلى أن هذه السيدة متعاطفة معها.

قالت هذه الأخيرة:

– سوف نبدأ بأكثرها أصالة: "كال سان ميجوبل" كال بالإسبانية" تعني "شارع". أعتقد أنك تعلمين ذلك.

طوال ساعة، تجولتا معاً، تشاهدان "واجهات المحلات." فرانسواز" اشترت جزاماً من جلد تمساح لزوجها:

"مفاجأة. هكذا قالت هذه الأخيرة في مرح. لأني أعرف أنه يرغب فيه".

كانت "فرانسواز" لا تخفي أنها تحب زوجها، وهاهي الفتاة حسدت

صديقتها.

ترى هل ستعرف بدورها هذه السعادة؟ لكن "مارين" أجابت نفسها بـ "لا". كانت تعرف ذاتها جيداً لكيلا تعلم أنها زوجة لحب واحد. هذا الحب، كانت قد وجدته، لكنه لن يكون لها أبداً.

دون أن تلتفت "فرانسواز" إلى كآبة الفتاة قادتها إلى الكاتدرائية. كان التناقض واضحا بين الشوارع المزدحمة التي تركتها وهذه الشوارع الضيقة. كانت تحتوي على منازل خاصة لا تكشف عن جمالها وترفها من الخارج، إنما كان كل ذلك بالداخل. أثناء نزهتهما، كانت "فرانسواز" – بالمصادفة – تدفع أحد الأبواب لكي تعطي "مارين" فرصة مشاهدة صحن منزل، من الواضح أنه من أحد العصور السابقة أو سلم من الرخام أو من الحديد المشغولفجاة، ظهرت الكاتدرائية أمام الفرنسيتين الشابتين، ضخمة، شامخة.

أمام الساحة، كان أحد تجار الأشياء الأثرية يعرض منتجات فنية رائعة. وإذ انجذبت "مارين" إلى شال قديم مطرز، اتجهت إلى الواجهة، تبعتها "فرانسواز" التي صاحت:

– إني أعرف هذا المحل. من هنا كانت زوجة "جان" قد قامت بشراء شمعداناتها.

نظرت إليها "مارين"، عاجزة عن إخفاء ارتباكها ودهشتها.

– هل هو متزوج؟ "دون جوان"؟

– في النهاية، كا.

عضت السيدة على شفتها وسكتت فجأة، ولكي تخفي ارتباكها، مالت على مصباح من النحاس لا يظهر أي ميزة. قدمته إلى "مارين" قائلة بنبرة من أخطأ عنوة وشعر بالضيق بعد ذلك:

– انظري، رائع أليس كذلك؟

واضح أن قولها خطأ لكن "مارين" ربما كانت غير مصغية إليها.

هكذا اتضح سر "جان دي سيز": كان متزوجاً لقد اكتشفت كل شيء، عدا هذا الأمر البسيط، الطبيعي: الزواج – كيف يحدث أنها لم

تفكر في ذلك في الحال؟ كان الجواب بسيطاً : في كل المقالات التي قرأتها عن "جان دي سيز" – وهي تعتقد أنها أجادت قراءتها– كان عازف البيان الكبير يقدم كشخص عزب . ولم تر في أي مكان في الصحف إعلان زواجه.

لكن هذا يفسر وجود "الحجرة المجهولة" . إنها حجرة زوجته . وبذلك يتضح اهتمامه القليل بالنساء : إنه لا يهتم – من البديهي– إلا بالتي له!،وهو أمر طبيعي . إن "مارين" مثل الأخريات، ليست في الحسبان.

إذا كانت في أعماقها ، قد منت نفسها بأمل واه، فلقد مات فعلاً هذه المرة.

لكن بما أن "جان" متزوج ، فأين زوجته ؟ ولماذا لا يذكرها أبداً؟

*****

وكأنه شعر بمأساة صديقته الجديدة ، جلس "يان" على ركبتيها في صحن الدار حيث احتمت بعد عودتها من "بالما" . بعد الجملة التي فلتت من "فرانسواز" ، أصبحت للسيدتين فكرة واحدة ؛ على الرغم مما تكن الواحدة نحو الأخرى من لطف ومودة:

أن تتفرقا بأسرع ما يمكن.

كانت "مارين" تدرك أن "فرانسواز" لا تخشى إلا أمراً واحداً : أن تسأل عن زواج "جان دي سيز" وعن زوجته

كان هذا واضحاً على وجهها. أشفقت "مارين" عليها، وعلى الرغم من أنها ترغب في الاستفسار عن الأمور عن طريقها– لم تسألها عن موضوع يعتبر ممنوعاً.

وها هي تسعى الآن إلى فهم الأمور . مرة أخرى اصطدمت بحائط . كل ما بمنزل عازف البيان، هذا الموسيقار الشهير يتسم بالغموض. لكن مازاد على ذلك ، هذه الزوجة وهذا الزواج: لأن بالنسبة لهذا الموضوع ، لم يكن هو فقط الذي يلتزم الصمت، إنما أصدقاؤه أيضاً. ووجه الغرابة، كان أنه – عندما توجهت "مارين" مع "دون جوان" إلى السهرة – لم

يسأله أحد عن زوجته وعن أخبارها.

وفجأة، اتخذت "مارين" قرارها: لماذا لا تسأل "ماجداليناً" عن زوجة سيدها الشرعية ؟ ومن المستحيل أن الخادمة تجهل أن "جان دي سيز" متزوج. حتى لو كانت زوجته متغيبة لسبب أو لآخر ، لابد أنها أتت إلى "ماجورك" معه: الحجرة غير المرتبة تثبت ذلك. وضعت القط بهدوء على الأرض لكي تتجه نحو الحجرات المشتركة في فناء صغير داخلي ، كانت "ماجداليناً" تضع الغسيل على الحبال لكي يجف.

أبدت للفتاة ابتسامة عريضة.

سألتها "مارين" بلهجة إسبانية ضعيفة:

– هل تعلمين متى ستعود زوجة السيد : . سو إسبوزا (زوجته)

– س إسبوزا؟ قالت "ماجداليناً" وقد أخذتها الدهشة.

– "دون جوان" نو هاي.

– "دون جوان" غير متزوج.

لكن كان هذا مستحيلا. ليس ما يبرر أن "فرانسواز" تخترع مثل هذه القصة. ثم توجد العلامة الواضحة : الحجرة، ومع ذلك ، أخذت "ماجداليناً" تكرر:

– إس سولتيرو!

عزب ! كانت "ماجداليناً" تبدو واثقة بما تؤكده. فما كان من الفتاة إلا أن أمسكت بيدها ، قادتها نحو باب الحجرة.

– إس سو هابيتاسيون!

فزعت "ماجداليناً" ونظرت إلى "مارين" ، كان هذه الأخيرة قد أصبحت مجنونة.

– لا

ثم وضحت لها أنها تجهل فيم تستخدم هذه الحجرة . إنها دائماً مغلقة، ووحده الـ "السيد" الذي معه المفتاح .

وأخيراً جاء دور "مارين" حتى ترتبك . هل رأت هذه الحجرة أو أنها رأتها في حلم؟

الفصل التاسع

لاشك في أنه تقزز من سلوك أولئك الآدميين الذين يسمحون لأنفسهم بوضعه على الأرض عندما يكون مستقراً على ركبهم . ها هو "يان" اختفى مرة أخرى .

لكن – على ما يبدو – "جان" لم يقلق هذه المرة.

– لابد أن له – بالتأكيد – هناك عند الناصية ، فرصة مغازلة. هكذا قال للفتاة عندما أعلنت له هذا الخبر قلقة.

– "لا تفزعي، وإلا قد يحدث ماهو أسوأ– هكذا أضاف بلهجة ساخرة"

ماذا يقصد؟ وسرعان ما علمت .

على خلاف عادته، عاد حوالي الساعة السابعة مساءً – وقد بدا مهموما – طلب الفتاة لكي يمليها خطاباً.

– الخطاب مهم جداً. هكذا أضاف بلطف ورقة .وإلا، ما كنت أسمح لنفسي أن أزعجك في هذه الساعة.

– الآن . هكذا قال:

– من أجل رئيس الجوقة "رولان بيرت" ، ومن غير تردد . أملى عليها الآتي:

"عزيزي "رولان" ، أقدم لك اعتذاري، لكن لظروف شخصية أجد نفسي مضطراً لرفض جولتي في "أمريكا" .

"ينبغي لك أن تخطر رؤساء مسارح "الولايات المتحدة" الذين قاموا بتنظيمها.

" من البديهي أن فسخ العقد هذا سوف يستدعي دفع غرامات."

توقف، نظر إلى الفتاة وقال في ضيق:

لماذا تنظرين إلي هكذا ؟ وكأني ميت أو أصبت بجنون!

وكانت حقيقة؛ لأن الفتاة شحبت، القلم توقف في أثناء كتابتها المختزلة ، وهي لا تفكر في الكتابة. من المؤكد أن "جان دي سيز" كثيراً

ما أملى على سكرتيرته خطابات لرفض سهرات موسيقية، لكنه لم يسبق له أن يكتب لكي يلغي حفلات . وخاصة بمثل هذه الأهمية. إن ما يقوم به هو أنه – بتصرفه هذا – يقاطع "أمريكا" إلى الأبد لأنهم لن يغفروا له عدم وفائه بعهده. خاصة بعد رفضه الذي قدمه إلى "كارنيجي هول" . قاعة "كارنيجي"

دون أن يضع في الاعتبار ما سيكلفه هذا الفسخ : ملايين الدولارات. إن هذا الخطاب يساوي الانتحار.

تمتمت الفتاة إذ ارتبكت:

– لكن هذا مستحيل : إنك لا تستطيع القيام بذلك. وكانت إجابته لاذعة كما كانت تتوقع:

– أعتقد يا آنسة – أني سبق وطلبت منك أن تلزمي حدودك كسكرتيرة فقط، وألا تتدخلي في شؤوني الشخصية . أرى أنه لا ضرر في ذلك، وعليك أن تواصلي. تسببت ابتسامة رفيعة في رفع شفته العليا.

استنتجت "مارين" أن الثورة تشتد عنده.

واصل:

– أعلم أنه لا حدود لإعجابك بي لكن الأمور ليست بيدي! لي من المعجبات مثلك آلاف في العالم أجمع.

– اعلمي أنه لو أني علمت أنك إحداهن، ما كنت قبلتك للعمل عندي!

شعرت به. لقد أصبح أشبه بفهد مستعد للهجوم . هل سيهاجمها؟ وإذ خافت بحاستها تراجعت. مرت ثوانٍ من التوتر غير المحتمل إلى حد جعل الفتاة تشعر كأنها دهر. فجأة ، حل التغير الكامل، وكان خوف الفتاة أعاده إلى رشده. وضع "جان دي سيز" يده على عينيه ، أشبه بنائم يستيقظ، ولما شعر بأنه بدأ يهدأ ويرجع إلى الحقيقة ، تمتم:

– المعذرة.

قالت:

– بل أنا التي ينبغي لي أن أقدم لك اعتذاري . لقد أنذرتني ؛

وماكان ينبغي لي أن أسمح لنفسي لكن كان هذا أقوى مني.

– وكان في صوتها نبرة أسى ممزوجة بالحقيقة جعلت الموسيقار يلقي إليها نظرة نافذة ، ضايقتها.

قال:

– يا إلهي يا "مارين" ، لم أفكر في .

كانت هذه هي المرة الأولى التي يخاطبها فيها باسمها ، فبدا لها ذلك نوعاً من الرقة. وكأنها حركة مودة.

– إن ذلك يهمك. إنك تتكلمين كما لو كان المتكلم عازف بيان.

كادت تخبره بأنه لا يخطئ في اعتقاده هذا ، لكنها رأت أنه من الحكمة أن تلتزم الصمت.

هز رأسه، مشغولاً بمهامه:

– أجلي هذا الخطاب لثمانية أيام– وإن كنت – هكذا أضاف في شيء من اليأس– لا أعتقد أني أستطيع التراجع عن قراري.

كادت تصرخ له قائلة : "لماذا؟" . لكنها لم تجرؤ.

كان قد اقترب منها وأتى بحركة لم تتوقعها : لاطف شعرها بهدوء .

– أيتها الفتاة الصغيرة إنك تعلمين أني أكبر منك سناً بكثير. خمسة عشر عاماً، عدد يحسب من عمرك!

شعرت ثانية بنفس الارتباك الذي كان قد لحق بها في الـ "مرسيدس" قبل ذلك ببضعة أيام، لكنه ممتزج هذه المرة بشيء آخر:

صدق أكيد من جانب "جان" وهو شعور جديد.

كان أيضاً قد ترك يده– ساهما – على شعر الفتاة. ثم أردف في هدوء:

– لذلك . أعرف أفضل منك ما يجب علي القيام به.

تأكدت أن الجملة الثانية لم تكن مكملة للأولى . لم يكن هذا هو الكلام الذي كان يعتزم قوله. وفي لمح البصر، فكرت : "إنه يحبني" سخافة ! هكذا أجابها صوت العقل : "إنك مجنونة".

رفعت عينيها نحوه وابتسمت له. اليوم "دون جوان" هو "جان دي سيز" ، كما تخيلته وهي طفلة.

ثم – بحركة فجائية – تناولت اليد التي بعد أن تركت شعرها، استقرت مثل طائر على كتفها، وقبلتها. سوف تعجز عن تفسير سبب قيامها بهذه الحركة غير المتوقعة؛ مزيج من كم من الأحاسيس : حب، إعجاب، شكر.

بعد القيام بهذه الحركة ، احمرت "مارين" ؛ لأنها تحققت من تصرفها بعدم لياقة. ترى كيف اعتبر عازف البيان هذه الحركة؟

وما هو صداها عنده؟

انتصب هذا الأخير إذ فوجئ ، شعر بالحرج ، لأنه لم يفهم في البدء؛ ثم– بذكاء فنان ، هذه المرونة التي كثيراً ما ساعدته على أداء أعمال كبار الموسيقيين– تمكن من إدراك ما تحتوي عليه هذه القبلة.

ودون أن يذكر ما قد تنفر منه الفتاة، اقترح في هدوء:

– "مارين" ، لي رغبة في تناول العشاء في أحد المطاعم هذا المساء.

فما رأيك في المجيء معي؟

وفي الوقت نفسه ، وكأنه أمر طبيعي ، أخرج علبة سجائر من جيبه ، ثم ناولها إلى الفتاة ، مانحاً إياها فرصة لكي تتمالك نفسها.

أخذتها وهي تتمتم "شكراً" . أشعلها لها ثم أشعل واحدة لنفسه.

كانت السماء في الخارج قد بدأت تتخذ ألوان الغروب الوردية . نظر إلى ساعته.

الثامنة والنصف ليتك ترتدين الفستان الأخضر الذي توجهت به إلى "آندراتكس" . سنتناول العشاء في "ميني فولي" إنه مطعم فرنسي– إسباني ومن أروع أماكن الجزيرة . ما رأيك؟ المقابلة في صحن الدار في التاسعة . بذلك أمامك الوقت الكافي للاستعداد.

شكرته بابتسامة ؛ فتح لها الباب:

– إلى لقاء قريب يا "مارين" .

ما الذي حدث؟

هذا ما رددته الفتاة أثناء ما كانت تتزين أمام المرآة وهي شاحبة من التأثر. بدا لها أنها دخلت عالما آخر ظل محرماً عليها حتى الآن؛ الذي

كانت تتوقعه، لكنه ليس لها . وهاهي قد تخطت العتبة.

كان المرود المغموس في الكحل يرتجف في يدها.

قالت بصوت عال:

– وجب أن أهدأ . وإلا لن أتمكن من تظليل عيني. توجهت إلى الحمام الصغير الملاصق لحجرتها . وشربت كوب ماء كبير : خيل لها أنها ثملة.

ولما عادت إلى حجرتها فتحت الصوان وتناولت الفستان الأخضر ، بلون الشجر ، الفستان الذي يجعل منها إحدى أميرات قصص الساحرات. عكست لها المرآة صورة فتاة جميلة إلى درجة أذهلتها . حتى الآن لم يسبق لـ "مارين" أن شعرت بأنها بمثل هذا الجمال. إن الصورة المعكوسة لها من المرآة لم تبد لها أنها هي، إنما فتاة أخرى. صورة من ستتناول العشاء هذا المساء ، على انفراد مع من تحب.

خرجت من الحجرة وحفيف فستانها الحريري يصاحب خطواتها. ها هو "جان" في انتظارها في صحن المنزل. مثل المرة السابقة ارتدى الملابس السوداء والسلسلة الفضية الكبيرة حول عنقه، التي تجعل منه أحد سادة عصر النهضة.

كانا كلاهما – بالضبط – كما كانا عليه منذ أيام، ومع ذلك ، كان كل شيء مختلفاً.

*****

إذ إن الموائد – المصفوفة حول حمام السباحة ، تحت الأشجار – متباعدة حتى يشعر كل زبون بأنه في عزلة، ويجد راحته في هذا المطعم الفاخر.

في الحال تقدم إليهما رئيس الخدم الذي عرف زبونه في الحال.

قال:

سيد "دي سيز" ، لماذا لم تتصل بنا هاتفياً؟ سوف أضطر إلى جعلكما تنتظران بضع دقائق.

مثل "فيتال" الطاهي الشهير للملك "لويس الرابع عشر" ، كان يبدو أنه موشك أن ينتحر ، حتى يمحو هذه اللمحة من عدم الإكرام . وأكثر من أي شيء آخر، عمل هذا الرجل البدين، المضحك على إعادة الفتاة إلى الحقيقة. كتمت – مثل فتاة صغيرة– ضحكة فاجأتها.

قال له "جان دى سيز" مبتسماً:

– لا أهمية لذلك ، :كارلوس" . ستقدم لنا "تيوبيي" هناك

قال هذا مشيراً إلى صالون صغير يقع . تحت الأقواس، بعيداً عن الأنظار.

– عندما تنتهي من إعداد مائدتنا، تعال لإخطارنا.

ثم أمسك "جان" بحركة ودية بذراع الفتاة؛ لكي يقودها نحو المكان الذي عينه لرئيس الخدم.

قال وهو يضحك أيضاً:

– هل أعجبت بـ "كارلوس" ؟ اعترفي هل تعلمين ان كلامه ليس خاصاً بي ؟ إنه يكرر ذلك للعديد من الزبائن.

أمام الفتاة ، كان حمام السباحة يعكس ضوء المصابيح أبعد بقليل ، كان المطعم يبدو أحد الديكورات لفيلم من أفلام "هوليوود" .

أتى النادل ووضع أمام الموسيقار ومن ترافقه كوبين صغيرين بهما سائل ذهبي.

الـ "تيوبيي" هو أفضل "زيري" والـ "زيري" هو فاتح الشهية الوطني في إسبانيا . أتعشم أن تحباه ، لكن على أي حال، من سبق له أن أتى إلى الـ "باليرز" لابد أن يكون قد شربه ولو مرة على الأقل.

أمسك بكوبه ، ناظرا إلى الفتاة ثم قال:

إني سعيد بأن أكون أول من يقدم لك هذا . لم يسبق لك تذوقه قط قبل الآن، أليس كذلك؟

أومأت، "لا" ، قبل أن ترفع الكأس إلى شفتيها.

إنه شراب خام ذو رائحة طيبة وطعم لذيذ.

– كم أنه طيب! هكذا علقت "مارين" دهشة . لم يسبق لي تذوق

مثله.

– إني سعيد لأنه أعجبك

تلاقت نظراتهما .

حولت عينيها حتى لا يتمكن "جان" من قراءة شيء فيهما.

اتجه "كارلوس" نحوهما:

– مائدتك معدة – "دون جوان" . في إمكانكما اتباعي . ساور الفتاة إحساس بأن رئيس الخدم البدين يتساءل عمن تكون . وجودها بالقرب من "جان دي سيز" كان يدهشه . ومع ذلك ، لابد أنه كم سبق له مشاهده فتاة جميلة بالقرب منه.

انتظر "جان دي سيز" إلى أن جلست "مارين" ، ثم جلس بدوره . مد لها يده بالكارت ، لكن وهو يقول لها:

– لم أخطئ عندما قمت باختيار نوع الشراب ، هل تثقين باختياري العشاء؟ إني أعرف جيداً أنواع الأطباق المحلية وما سوف يعجبك منها.

وافقت في مرح. شعرت بأنها لم تعد الصبية الصغيرة ، لكن سيدة، وها هو رجل يعتني بها.

قال "جان":

– هنا لحم الضأن رائع، أو أنك تفضلين طبقاً إسبانياً : الـ "بائللا" إنه خليط من الأرز ، الخضراوات واللحوم المختلفة ، الأسماك والجمبري . قد يبدو هذا الطبق غريباً لكن صدقيني إنه لذيذ جدا.

قالت مبتهجة:

– آه نعم "بائللا" . لم آكلها قبل الآن!

وكان عشاءً لذيذاً ومعه شراب "بني سالم" وهو مشهور في الجزيرة . كما وعدها "جان".

تذوقت "مارين" التحلية : من أنواع الجزيرة : تورتة بالجبن الأبيض.

فجأة رأت "جان" يفرك منشفته.

قطب حاجبيه وتمتم:

– آه!... ليتني لم أرهم هذه الليلة.؟

هاهوفوج – بقيادة "رين كاسار" – يدخل المطعم . عندما لمحت– عن بعد عازف– البيان و"مارين"، رفعت المطربة ذراعيها إلى السماء، وصاحت بكل قوتها وكأنها تمثل الـ "ترافياتا":

– "جان دي سيز" . يا للفرصة الطيبة ! لو علمت أني سوف ألقاك هنا!

كل المطعم التفت نحو المائدة التي – من البديهي – لم يلتفت إليها أحد حتى ذلك الحين.

وبنفس الصوت العالي، نادت المطربة رئيس المطعم :

– "كارلوس"، ضع مائدتنا بالقرب من مائدة صديقنا!

التفتت نحو "مارين" وقالت:

– هاهي سكرتيرته الساحرة . مساء الخير يا عزيزتي . كيف حالك؟ مرة أخرى تغيرت السهرة تماما. إنه الآن مشهد لذوي الشهرة.

شعرت الفتاة بالندم.

"دون جوان" تحول مرة أخرى إلى "جان دي سيز" . بمزيد من الحركة والضوضاء ، جلس الفوج الفرنسي بجوارهما .

طلبت لهم المطربة الشراب بصوتها الرنان.

مع ذلك– هكذا فكرت "مارين" وهي ما بين الإحساس بالسرور والألم؛ لأنها رأت أن عشاءها قد ارتبك هكذا– لابد أنها اضطرت إلى أن تشرب قبل الآن".

الجميع كانوا من حولها يضحكون . وهاهو "جان" استعاد قناعه الاجتماعي ، أخذ ينحني أمام فتيات، تجدهن "مارين" أجمل منها وأكثر أناقة أيضاً. ثم عزفت الأوركسترا وعلى الحلقة رقص كل الأزواج.

تمنت "مارين" أن تكون بينهم بين ذراعي "دون جوان" .

لكن عازف البيان اختار غيرها، ودعاها . كأنه أراد بذلك ألا يلفت الأنظار إلى تألقه مع سكرتيرته.

أما "مارين" فقد رفضت مبتسمة دعوة أحد الأصدقاء المرافقين لـ "رين".

أردفت هذه الأخيرة وهي تطلق زفيراً:

– شكرا، هذا لطف منك أن تمكثي معي . لأني أنا أيضاً لا أرغب في الرقص.

في الواقع ، كان كل المدعوين قد نهضوا وذهبوا إلى حلقة الرقص ولم يبق أمام المائدة سوى المطربة و"مارين".

رفعت المطربة كأسها إلى فمها وشربته دفعة واحدة قبل أن تفصح للفتاة:

– أعتقد أني أسرفت في الشرب هذا المساء.

تلفتت حولها كأنها مراقبة، ومحاطة بالجواسيس.

وعلى الرغم من ندمها على سهرتها التي كانت لهما وحدهما لم يحل ذلك دون أن تتسلى "مارين" بما للمطربة اللامعة من نكات ومداعبات . متى تمثل ، متى نجدها طبيعية؟!

ظنت الفتاة أن الحياة بالنسبة لـ "رين" عبارة عن أوبرا مستمرة ،حيث تمتزج الحقيقة بالمسرح. ولما تحققت المطربة أنه لا أحد يراقبها ، مالت على "مارين" وسألتها بصوت منخفض:

– في النهاية – بينك وبيني – هل قتلها أو لا؟ بصفتك سكرتيرته لابد أنك تعلمين!

الفصل العاشر

في الـ "مرسيدس" البيضاء التي أعادتهما إلى المنزل كان الموسيقار صامتاً، ربما لأن الطريق يتطلب عناية خاصة أثناء القيادة في الليل.

لكن، ألم يكن لأنه سمع صوت المطربة؟

هذا ما تخشاه "مارين" . لابد أن الهمس قد سمع على بعد عشرة أمتار من حولها . وكان "جان دي سيز" قد وصل في هذه اللحظة بالضبط.

أكثر من ذلك ، كانت "مارين" فزعة خاصة لما كشفت لها "رين" عنه– وهي لا تشك في أنها لا تعلم– ظناً منها أنها على علم بالأمر.

تذكرت المحادثة في "أندرانكس": "قصة ماساوية. كانت ستبدو أسوأ مما

هي إذا كان البوليس . لكن هذا يعرضه لتحطيم حياته ومهنته."

ما الذي حدث بالضبط؟ وعازف البيان متهم بأنه قتل من ؟ الآن فهمت "مارين" لماذا يوجد بالمنزل شخص جديد. بالتأكيد "جان دى سيز" لم يترك من حوله خدما سابقين قد يثرثرون كان كافياً جداً أن أصدقاءه فقط– وهم كتومون للسر، عدا "رين" – أن يلموا بالأمر!

لكن ما هي هذه القصة أو الحب المأساوي المجهول؟

إنها لا تجرؤ على التفكير في "هذا الاغتيال" – الذي يجبره على التخلي عن مهنته؟!

جلست "مارين" في ركن السيارة مقشعرة ، خافت فجأة من ماضي "جان" لتواجدها بمفردها معه.

وإلى أن وصلا أمام المنزل، لم يتبادلا كلمة واحدة منذ مغادرتهما لـ "ميني فولي".

وفي المدخل ألقت "مارين" إلى عازف البيان ابتسامتها الصافية المعتادة، ومهما تمكن من القيام به فهي تعرفه، إنها سوف تحبه دائماً. إذا كانت ترتجف فهذا من أجله وليس من أجل نفسها.

أردفت:

– شكرا "دون جوان" . لقد قضيت معك سهرة ممتعة.

كانت قد ركزت على "معك" ، لكي يعلم أن السهرة التي أحبتها هي تلك التي قضتها بمفردها معه، قبل وصول الفوج الفرنسي.

تمتمت: لو أنها لم تتقابل مع هذه الـ "رين"!

احتفظ "جان" لبضع لحظات بأنامل الفتاة الرقيقة في يده القوية.

– سوف أبكر صباح غد مع "أنطونيو" للذهاب للصيد . لن أعود قبل ثمان وأربعين ساعة. في هذه اللحظة ، ربما أتخذ قرارا من أجل هذا الخطاب الذي يربكك .

– ويربكني أنا أيضاً ! هكذا أضاف بصوت خافت.

وها هي الجملة الأخيرة التي نطق بها "جان" منعت "مارين" من النوم بقدر ما تسبب فيه الاتهام الموجه ضده من المطربة.

WWW.REWITY.COM

إذن- إذا كان يتخلى عن البيان- كما يؤكد للفتاة الخطاب الذي أملاه عليها إلى قائد الفرقة فهذا رغماً عنه . وإن هذا القرار المرتبط بالمأساة التي تمت لم يعد بالنسبة لها شكاً.

كانت لا ترغب في البقاء بمفردها طوال اليوم في المنزل الكبير، وسط أفكار لا تقودها إلى شيء.

عندما أحضرت لها "ماجدالينا" إفطارها ، عرضت عليها "مارين"- و"أنطونيو" متغيب- أن ترافقها إلى "آندراتكس" ، للقيام بالمشتريات؛ وافقت السيدة بكل سرور؛ لأنها لا تعرف قيادة السيارات.

بعد مرور ساعة ، كانت "مارين" بالميناء، في انتظار الماجوركية التي تقوم بشراء حاجياتها لكي تعيدها . كم أن الحياة تبدو لها هنا سهلة وبلا تعقيد ؛ مختلفة تماماً عن المأساة التي تحياها.

إن لم تكن "ماجدالينا" معها لقضت يومها في التنزه بهذا الميناء الصغير الساكن. وكانت المطاعم المتواجدة على شاطئ المياه، تمنحها رغبة في تناول الغداء. كانت تتخيل أنها، ببعدها عن منزل "جوان" ، سوف تنسى كل هذه الأفكار السوداء التي تلاحقها بلا توقف.

وكان "ماجدالينا" شعرت بهذه الرغبة الخفية، بدت فجأة بجوارها وهي تلهث لأنها جرت كثيراً. أتت لكي تقول لـ "سينيوريتا" إنها كانت ترغب في البقاء في "آندراتكس" فإن البقال الذي طلبت منه أشياء كثيرة عرض عليها أن يعيدها إلى المنزل مع البضاعة التي اشترتها.

فكان في ذلك طمأنينة لـ "مارين" . وفور عودة السيدة اتجهت نحو أحد مقاهي الميناء كانت العبّارات تتأرجح على بعد متر واحد منها. في ساعة الظهيرة كان الوقت مازال مبكراً لتناول الغداء. ترددت الفتاة ثانية، ثم طلبت من الخادم كوب "تيوبيبه" . سوف ينسيها هذا الشراب الفاخر ما بها من هموم ، ويعيدها إلى جو السعادة والمرح الذي عاشته في بداية سهرة الأمس.

*****

كانت الساعة السابعة - تقريباً - عندما قررت "مارين" العودة. بعد أن جابت شوارع الميناء الصغير . اشترت لنفسها فستاناً أبيض مستوردا من "إيبزا" إحدى جزر "باليار" . ولوالدتها ، كانت قد وجدت "سراويل" : إحدى هذه الصفارات التي شاهدتها عند "دون جوان" وأعجبت بسذاجة إنتاجها. ما اشترته يمثل ملكاً على جواد أقل حجماً منه، وكان يبدو أنه أقرب إلى الكلاب السلوقي الماجوركية عن كونه من فصيلة الخيول.

عندما دخلت الفتاة الصالون الكبير ، لم تمتنع عن إبداء حركة دهشة قد تكون صرخة سرور: البيان مفتوح . لاشك في أنه " دون جوان" الذي رفع غطاءه قبل رحيله ، لأن "ماجدالينا" لم تجرؤ قط على لمسه. غير أنه ، لم يكن قد عزف عليه: لكانت قد سمعته. في لحظة سكون تخيلته: عاري الجذع والقدمين ، أمام البيان، يرفع غطاءه ملاطفاً أصابعه العاجية. من أجل "وداع" أخير؟

اقتربت هي أيضا من البيان . وبدورها لمست الأصابع . شعرت تحت أصابعها- كما بدا لها- ببصمات أصابع "جان دي سيز" .

جلست على المقعد الصغير، ووضعت يديها على الأصابع العاجية .

كانت لا ترغب في شيء سوى أن : تلمس البيان. وأن يصدر أصواتاً.

ثم حدث ما هو أقوى من "مارين" : لم تتمكن من مقاومة رغبتها ، وكانت عنيفة ، أشبه بما يولده الحب.

وكان أولاً لحناً لـ "شوبان" - يترجم بنغم أشبه بالبكاء- قطرات المطر. كان قد كتبه ذات أمسية يأس تام في "فالديموزا" عزفت كما لم يسبق لها أن عزفت قبل الآن. هل كانت في حاجة إلى معرفة الحب، العذاب ، الألم، اليأس لكي تجددها في لحن "شوبان" ؟ وها قد تحقق حالياً. ما قد افتقرت إليه حتى هذا اليوم لكي تصبح فنانة كبيرة: أن تصبح سيدة. أن تكف عن حياة الفتاة الصغيرة التي مازالت تعيش متعلقة بأمها.

ثم بعد أن أنهت هذا اللحن ، عزفت "فالس" ، أحد الألحان الذي تفضله.

ولما كانت تعيش في جو الموسيقى ، نسيت الفتاة كل شيء . لكن

من خلفها صوت يسمع فجأة بصيح. صوت أقرب ما يكون إلى صرخة دابة عن أنه صوت إنسان.

– توقفي !... توقفي في الحال ! هانا أحذرك !...

كان "جان" من خلفها . منذ كم من الوقت ؟ أو أنه وصل لتوه؟ لكنه هنا وقد ظنته في البحر.

وبحركة عنيفة ، خفض الغطاء على يدي الفتاة . لحسن الحظ كانت الفتاة قد سحبتهما بسرعة . نظرت إليه فلم تعرفه : وجدته شخصاً مجنوناً، عيناه جاحظتان، يصرخ بكلمات لا تنتهي.

– الخوف. خوف بلا داع سيطر على الفتاة ، جمدها أولاً لعدة ثوان أمام هذا المجهول. ثم– عندما رأته مسرعاً إليها– هربت باسرع ما يمكن في غابة أشجار الصنوبر، يلاحقها هذا المجنون الذي يصيح باسمها. أخذت تجري في "زجزاج"، تتخذ طرقاً متعرجة ، تختفي بين الشجيرات، تتعرض لجراح أغصانها محاولة تضليله لكيلا يتمكن من أن يلحق بها . فجأة لم تعد تسمع من خلفها صوت الأغصان المكسورة تحت الأقدام العارية التي تلاحقها.

اختفت خلف بعض الأشجار حتى يهدأ قلبها الذي يخفق بشدة وتستعيد أنفاسها . مرت فترة سكون. يبدو أن الرجل قد كف عن ملاحقتها .لكنها تحققت من أنه لا ينبغي لها أن تعود إلى المنزل . ليس ما يثبت لها أن "جان" لا ينتظرها هناك ، متاهباً لمواصلة مطاردته لها.

اعتراها إحساس فظيع : هل "جان دي سيز" أصبح مجنوناً؟ وهل هو كفيل بأن يقتل أثناء إحدى النوبات التي تباغته، كما أسمعتها "رين"؟

كانت لا تستطيع قضاء الليل في الغابة.

كما أنها لا تستطيع العودة إلى المنزل ، لم يبق أمامها إلا مصدر واحد : الشاطئ.

استغرقت فترة الصمت عشر دقائق ، قامت خلالها بثلاث خطوات وهي تنظر خلفها في كل ثانية ، ثم نزلت "مارين".

في ضوء القمر الهادئ ، كان القارب الذي كانت قد استخدمته

لذهاب إلى الجزيرة الصغيرة ، يتأرجح في هدوء . أما السفينة الكبيرة التي بجواره فكانت تبدو نائمة بأضوائها المطفأة .

تمهلت خلف الشجيرات حتى تتأكد من عدم وجود أي شخص.

أسرعت إلى الشاطئ ، خلعت فستانها – غير مترددة – ونزلت إلى الماء الذي وجدته دافئا. أعاد لها سكينتها إلى حد ما . بعد ثوان وصلت إلى الـ "زودياك" وركبته.

ألقت بنفسها في قاعه لكي تختبئ . وعندما وثقت بأنه لا أحد يلاحقها، حلت القارب بسرعة لكن في صمت ، وحركت الموتور وأصبحت في عرض البحر. لم يكن بداخلها سوى فكرة الهرب! إلى أين تذهب؟

لا تدري بعد ، لكنها على الأقل تشعر بالأمان.

لحسن الحظ كانت الليلة هادئة. خلعت ملابسها الداخلية المبتلة وارتدت فستانها على جسمها المبتل أيضاً. جلست على حافة القارب تفكر. كانت لا تستطيع الدخول أكثر من ذلك فى عرض البحر . لم يكن هذا الوضع ذا خطورة بالغة، كان ينبغي لها أن تعود نحو الساحل. لكن على ألا تعود عند "جان دي سيز" . ليس ما يثبت لها أن ثورته قد هدأت. على أي شكل كانت لا ترغب في مشاهدته مرة أخرى.

كانت – في آن واحد– تحبه بلا أمل وتخشاه كثيراً.

فكرت في أن أفضل حل هو الذهاب إلى "بالما"، عاصمة الجزيرة . بالتأكيد "آندراتكس" أقرب بكثير ، لكن في هذه الساعة ستجد كل الأماكن مغلقة. كما أن "جان" سوف يفكر في أنها مختبئة هناك.

ومن يدري ، قد يكون في انتظارها على الرصيف الخالي من الناس. هناك، سوف تتصرف.

بالمصادفة ، بينما كانت تقوم بمشترياتها في فترة بعد الظهر ، كانت قد وضعت في جيبها بعض النقود ذات الفئات الصغيرة. مائة "بيزيتا" على الأكثر . لكنه مبلغ كاف للاتصال بـ "رين كاسار" التي كانت قد أعطتها رقم تليفونها، كما تشعر بأنها إنسانة طيبة على الرغم من

تجاوزاتها . أو من الأفضل أن تتصل بـ "جوزفين دي كرواي" لأنها أكثر هدوءاً، وسبق أن ذهبت عندها. ونهاية الأمر هي التي كانت ألحقتها بالعمل عند "جان دي سيز"

أضاءت "مارين" مصباح القارب، ، بسطت الخريطة . لكن كان من الصعب أن تتحكم في القارب وأن تمسك بالخريطة والمصباح.

فجأة هاج البحر والأمواج ارتفعت . ها القارب يتأرجح، لكن الفتاة لم تنزعج ولم تخش لا الظلام ولا البحر . كانت تجد فيهما أمناً أكثر من ميزت الساحل من جديد . اقتربت منه بقدر المستطاع، متجنبة مع ذلك أن تكون قريبة جداً، لأنها بذلك لا تستطيع رؤية صخور على وجه الماء: إن أخطر ما يتعرض له القارب هو تمزق يجعله يفرغ من الهواء.

وفقاً للخريطة ، "بالما" توجد عن اليسار – الاتجاه الذي اتخذته – ولا تبعد أكثر من نحو ثلاثين كيلو متراً. ساعة وثلاثون دقيقة، ساعتان على الأكثر من الملاحة لأن الموتور "ميركوري" سريع.

وكان ذلك ممكناً : لابد أنها سبق وقطعت مثل تلك المسافات في "بريتاني" ولكن في النهار.

وبالتأكيد ينبغي لها المرور من خليج "كالا فيجيرا"، لكن السواحل الهادئة – إذ إنها تنتهي بشاطئ على هذا الجانب من الجزيرة – لا تشكل أية خطورة.

وكان القمر يضيء الشاطئ بقدر كاف من خلال سحابتين ، مما ساعدها على مواصلة الرؤية.

لكن ما كان يضايقها أكثر كان يرجع إلى أنها ارتدت فستانها على جسمها المبتل، و"مارين" شعرت بالبرد عندما اشتد الريح. لأن المساء اللطيف قد تبدد وبدأ يصبح رطباً،جلست من جديد، لم يكن الطقس ثلجياً حتى ترتجف. عندما تصل إلى "بالما" – سوف تجد مقهى مفتوحاً لكي تتناول مشروباً ساخناً وتتصل هاتفياً.

كانت قد مرت ساعة تقريباً منذ أن أبحرت . وفي الصباح كانت تتحكم في المحرك بسهولة،

حينئذ سمع تقطع صوت الموتور مرتين أو ثلاث مرات ثم توقف فجأة.

الفصل الحادي عشر

تكدرت "مارين". حاولت عبثاً تشغيل موتور القارب.

فجأة أدركت السر، مالت على الخزان ، رفعته ، وجدته فارغاً.

عندما ركبت الفتاة القارب وكانت فزعة وقتئذ غفلت عن التحقق من كمية البنزين الموجودة به وإذا كانت كافية للذهاب إلى "بالما".

إنه العطل غير القابل للإصلاح . نظرت حولها. لو كانت فقط تشاهد أحد قوارب الصيد ، لأضاءت مصابيح القارب كعلامة للضيق.

لكن – من البديهي– أن البحر المتوسط في مثل هذه الساعة كان قفراً؛ لذلك، وجب الانتظار إلى أن يلوح الفجر ، وتخرج قوارب الصيد الأولى من الميناء.

تمتمت خلال ثوان ، أن تهب ريح من البحر نحو الأرض، وتعيدها إلى الساحل . وحينئذ تستطيع– بالتجديف– الوصول إلى الشاطئ.

وا أسفاه! هاهي الريح تهب في اتجاه عكسي ، وعملت على إبعادها أكثر فأكثر عن الشاطئ.

استمرت– مع ذلك– في التجديف بشجاعة حتى لا تفقد توازنها على الأقل . لكن سرعان ما تحققت من أن الأمواج تدفع بالقارب إلى عرض البحر . نظرت من حولها مرة أخرى . ها هو الساحل يبتعد و لا ترى شيئاً. اقشعرت ، لكن ليس من البرد فقط في هذه المرة.

بعد قليل– من شدة التعب – اضطرت "مارين" إلى التوقف عن التجديف. والـ "زودياك" أخذ يتراقص على الأمواج، يدور حول نفسه ، مبتعداً عن الأرض. فجأة وصلت موجة قوية ، أغرقت الفتاة من الوجه إلى القدمين .

تركت المقعد الذي كانت تجلس عليه، حاولت الاحتماء تحت مقدمة

WWW.BEWITH.COM

القارب ، دون أن يفيد ذلك شيئاً. ها هي الأمواج تشتد وتلعب بالقارب الصغير وكأنه لعبة طفل.

كانت الأمواج تصل باردة تكاد تكون ثلجية ، تخترق فستان "مارين" ، وكانت كل موجة جديدة بمثابة عذاب جديد لها.

على الرغم مما لها من شجاعة ، خافت الفتاة إلى حد الرعب.

شعرت بأنها تائهة في عرض البحر . لقد اختفى الساحل. ولم يعد من حولها سوى الظلام ، والماء يحيط بها من كل جانب . كما أن السحب أخفت القمر ولم يعد أمامها إلا ضوء خافت يطمئنها.

أليس "زودياك" معرضاً للانقلاب إذا أتت موجة عنيفة ؟ على أي حال ، كان الماء قد بدأ يتجمع في قاع القارب ووصل إلى كعبيها.

فكرت "مارين" في إفراغ الماء ، دون أن تسمح بدخول كمية أخرى ؛ لكن لتنفيذ هذه الفكرة، عجزت الفتاة لأن الصمام موجود في مؤخرة القارب. تشبثت بكل قواها بالقارب، توصلت إلى الموتور ، حاولت أن تجذب الحبل لفتح الصمام لكن ها هي موجة قوية دفعت بها بشدة جعلتها تعتقد أنها غرقت . سمعت بعد ذلك رعداً يدوي بشدة ينبئ بقدوم عاصفة.

ثم بدا في السماء السوداء – من تأثير السحب– ، برق أضاء لعدة ثوان.

أشبه بمن غشي عليه ، سقطت الفتاة في قاع القارب حيث تتصاعد المياه أكثر فأكثر.

*****

سمع طنين عن بعد عمل على شد "مارين" من غفلتها إذ كانت في حالةلا وعي جزئية. حاولت الارتكاز على ركبتها بتعلقها في الحبل. ولما اشتد الصوت أكثر فأكثر أيقنت أنه لاشك صوت موتور سفينة.

انتصبت في محاولة ، لكي تشاهدها. هل ستمر بجوارها دون أن تراها، في هذا الظلام الحالك؟ أو ما هو أسوأ من ذلك– من الممكن أن ترتطم بالقارب الصغير وتغرقه.

حاولت الوصول إلى الكشافات ، لكن فهمت أنها لن تجد الوقت الكافي لفتح الحقيبة التي تحتوي عليها. اشتد صوت الموتور. الآن– عندما شاهدت "مارين" أضواء السفينة – اعتقدت أنه يخت.

اقترب اليخت من الـ "زودياك" دون أن تراه وهي واثقة بذلك.

رفعت البوق إلى فمها . لكن هل سيسمع صوتها مع صوت موتور اليخت؟ صرخت فيه بكل ما لها من قوة.

خيل إليها أن السفينة المقبلة إليها تبطئ. نعم إنها واثقة الآن، لقد خفضت من سرعتها . ثم عمل الكشاف على تحديد وضع اليخت الذي يصدر عنه الصوت. نهضت لكي تشاهد : شبح ضئيل معرض للغرق. شاهدت السفينة بوضوح . سمعت صوت رجل يصرخ بكلمات لم تفهمها.

توقفت السفينة بجوارها ، ثم أُلقي إليها بسلم.

وحينئذ عرفتها.

إنها سفينة "دون جوان" . كان هذا الأخير واقفاً في المقدمة ، واضعا يديه على حقويه ، قرصان مستعد للهجوم.

ألقت "مارين" نظرة إلى البحر ، ثم إلى الرجل . كانت لا تدري . من أيهما تخاف أكثر؟

صاح بها "جان" :

– اصعدي بسرعة ! اصعدي .

– لكنها ظلت مشلولة الحركة وسط "زودياك" عاجزة عن القيام بأبسط حركة. سمعت صوت عازف البيان يجدف ، ثم بقفزة رشيقة ، أصبح بالقرب منها . ارتجفت "مارين" بكل كيانها. ما الذي سيقوم به؟ حملها ، صعد بها ثلاث درجات من السلم الذي كانت لا تستطيع عبوره بمفردها.

عنفها قائلا :

– مجنونة ! مجنونة ! ما الذي دهاك؟ لم يسبق لي قط، في حياتي ، أني عانيت من مثل هذا الخوف. كما حدث لي اليوم.

فهمت أنها حقيقة، ولم تعد تخشاه. ولما كانت قد بلغت أقصى حالات

www.rewity.com مـــرمـــوريـــتي

التعب والأسى ، استسلمت له عندما حملها بين ذراعيه مثل طفل.

على الرغم من البرد، وعلى الرغم من الخوف أحست الفتاة بارتباك يسيطر عليها. ترى هل أحسه "جان" أيضا؟

دخل الكبينة الخاصة بها في القارب ؛ أمسك بغطاء وناولها إياه قائلا:

– اخلعي فستانك ولفي نفسك بهذا في الحال . آه! إنك في حالة جيدة!....

نظرت إليه محرجة:

– هل تسمح بالالتفات من فضلك حتى أتمكن من خلع فستاني ؟

هز كتفيه مبدياً ابتسامة ساخرة . وأثناء ما خلعت فستانها وتدثرت بالغطاء ، كان عازف البيان قد فتح صندوقا صغيراً في سفينته وأخرج منه زجاجة وكوبين.

الآن، شعرت "مارين" كم أنها تعرضت للبرد حتى عظمها.

سمعت أسنانها تصطك غير قادرة على إيقافها.

أردف "جان" ساخراً:

– أعتقد أنك حالياً واهنة وفي حالة يرثى لها.

ثم التفت وبكل من يديه كوب. لكن عندما رأى "مارين" ، فقدت لهجته ما كان بها من سخرية.

– يا إلهي ! كم أنك شاحبة، اشربي هذا في الحال ودفعة واحدة! ثم رفع الكوب إلى شفتي الفتاة. أطاعت وابتلعت السائل الذي كادت تتقيؤه لانه لاذع، لكن في نفس الوقت اعتراها إحساس بالدفء.

– اشربي – هكذا قال لها– حتى آخر نقطة . إنه مفيد لقد بدأت الدماء تصعد إلى وجهك.

شعرت بعد ذلك بدوار خفيف، لكنه ممتع.

ابتسمت:

– ما الذي أعطيتني لأشربه؟

– شراب نقي. إنه الوسيلة الوحيدة ، لمثل حالتك ، إنه يمنع إصابتك بالتهاب رئوي! وبما أنك غير معتادة تناوله ، فمن الأفضل أن تتمددي

الآن. استرخي يا "مارين".

كان قد حواها بين ذراعيه القويتين. غير أن هذه القوة كانت رقيقة في نظر "مارين" ! ساعدها على الرقاد على إحدى أماكن النوم في السفينة ووضع غطاء آخر عليها. ثم بدوره شرب ما بكوبه دفعة واحدة.

– إنها فعلاً معجزة أن عثرت عليك، ومعجزة أخرى أني رأيتك! وإلا كنت أغرقت قاربك دون أن أعلم. لحسن الحظ قد أنتك فكرة استخدام البوق.

تأملها لبضع ثوان . كان الفزع بادياً على وجهها . لكن "مارين" لم تعد خائفة من تلك الثورة التي تشعر بانها مليئة بالحنان.

دمدم:

– ليتني أعلم ما الذي دهاك، لقد جريت خلفك لكي أقدم لك اعتذاري عما صدر مني من عنف.– ضحك في مرارة : مرة أخرى! – وكم ناديتك وأنت لا تسمعينني!

تذكرت أنها سمعته يناديها باسمها ، لكن الخوف كان أقوى. بذلك لم يكن عدوه خلفها بقصد الإساءة ، إنما لكي يطمئنها ، يهدئها!

حينئذ لعنت الفتاة غباءها.

واصل :

حينئذ فكرت في أنه من الأفضل أن أعود .

– وفي اعتقادي ، أنك ستعودين حتماً بعد أن تستعيدي سكينتك. لكن بعد مرور ساعة، بدأت أشعر بالقلق لعدم عودتك . نزلت إلى الشاطئ ظناً مني أنك هناك

قبض على يديه:

– هناك شاهدت أن الـ "زودياك" أيضا . قد اختفى! يا للجنون الذي لحق بك!

وبطريقة آلية، صب شراباً في كوبه وفي كوب "مارين" .

بعد أن ترددت هذه الأخيرة لثوان ، رفعت كوبها إلى شفتيها . فقد كانت ترتجف على الرغم من الغطاء الذي عليها. اعتقدت أن الشراب

www.rewity.com

سوف يساعدها على تمالك نفسها.

نظر إليها- مرتبكاً- كما لابد أن تكون هذه هي حالته عندما اكتشف أن القارب قد اختفى.

أما هي فقد تخيلته جيداً ، كما كان في هذه اللحظة أمامها ، عاريا إلى النصف ، يدفع بشعره - كعادته التي ألفتها- إلى الخلف . هذا الشعر الذي تغير لونه من تأثير البحر والشمس.

وبصوت منخفض كمن يحدث نفسه ، واصل "جان" كلامه:

- قفزت من قاربي واتجهت نحو "آندراتكس" مقتنعاً بأني ساجدك هناك. لكن ، كيف، كيف تراودني فكرة بأنك انتقلت إلى الجانب الآخر؟ وفي الواقع ، إلى أين كانت لك نية الاتجاه ؟

- إلى "بالما".

- إلى "بالما"!...

نظر إليها فزعاً:

- وأنا من اعتبرتك فتاة ذكية وعاملة ! عاملة . أربعون كيلو متراً فوق سطح البحر، في الظلام ، فيما يشبه بغلاف بندقة، مع ضرورة اجتياز خلجان! ليس من ملاح يجازف بما قمت به يا صغيرتي ومن البديهي ، لم تتحققي من وجود بنزين كاف في الخزان؟

خفضت رأسها ، مقتنعة بأنها تصرفت مثل طفل صغير.

كرر "جان" من جديد :

- لكن لماذا؟

هل كان في وسعها أن تجيبه: لأني كنت خائفة منك، وأن الخوف الذي شعرت به من الظلام ، والبحر وحتى الخطر كان في نظري أقل من خوفي منك؟!

لم تجرؤ على ذلك.

مستنداً إلى جانب القارب، عاد "جان" إلى ما كان يسرده:

- في الحال، لم أقلق كثيراً. لأن الليل كان جميلاً والبحر هادئاً.

وعندما يكون البحر المتوسط وديعاً على هذا النحو، وجب ألا نثق به،

تماماً مثل امرأة! لكن حتى لو هاج ، كان أمامك الوقت الكافي للوصول إلى ميناء "آندراتكس" لكني بدأت أنزعج عندما اكتشفت غياب الـ "زودياك". ما كان عليك إلا محاذاة السواحل : إذا كنت لم أتقابل معك وأنا آت من "آندراتكس" هذا لأنك كنت متخذة الاتجاه العكسي!

"عدت على عقبي ؛ لكن الانتظار في المنزل ، وهذا البحث المثمر بعد ذلك استغرقا فترة طويلة ! وكما توقعت هاج البحر . فكان يعتبر ذلك بالنسبة للسفينة ارتفاع أمواج ، لكن بالنسبة لـ"زودياك" تعتبر عاصفة صغيرة . حينئذ - في هذه الحالة - بدأت أنزعج تقدمت ، سعياً للعثور عليك لكن دون جدوى.

وكانت "مارين" تستمع إليه؛ وكلماته تبدو لها غريبة ، كان معناها يتغير عند خروجه من شفتي "جان" . تواجدت في حالة مزدوجة ؛ إذ كانت ترغب في الضحك والبكاء في آن واحد.

واصل الموسيقار حديثه:

- لذلك اعتقدت - قد يكون تفكيري سليماً- أنه قد أصابك عطل بسبب نقص الوقود، وأن في هذه الحالة ، سوف تدفع بك الريح نحو عرض البحر.

صب شراباً مرة أخرى . كان أشبه بنائم يعجز عن التخلص من كابوس، وهذا ما لمحته "مارين" . كان وجه "جان" الساكن أشبه بتمثال منحوت.

ثم جاء دور "مارين" بأن تتفحصه جيداً. لمحت أنه هو أيضاً مبتل مثلها . شعره يلمع مثل خوذة والماء يتساقط على قطرات تتعلق بخصلات شعر صدره الخفيفة ؛ كما أن قدميه العاريتين قد تركتا بصماتهما على الموكيت ، وبنطلونه تمزق عندما قفز إلى الـ "زودياك"

كان - كما رأته "مارين" - جميلا . في جمال تمثال بحري يخرج من بين الأمواج، ذا جمال ارتبكت له الفتاة!

تمتمت:

- "دون جوان" . إني أرغب في معرفتك ، لماذا. كادت تقول له "هذه الثورة"، لكنه قاطعها، وسرعان ما تبدل القناع الحجري إلى وجه

إنسان . وجه رجل يميل عليها ضاحكاً، ويقول:

– ألم تفهمي يا "مارين" أني أحبك؟!

الفصل الثاني عشر

– أنا لا أشعر بالبرد لا أشعر بأي شيء، أي شيء سوى رغبتي فيك يا "مارين".

مال عليها ، جذابا جميلاً، مزعجاً، مثل أحد تماثيل الرومان. شعرت "مارين" بالخطر الذي يهددها : الخطر الذي تجد الفتاة التي تحب صعوبة في الهرب منه. ما كان ينبغي له أن يقترب منها كثيراً . ولكي تدفعه ، وضعت أصابعها على صدره العاري ، اليابس والبارد مثل الرخام، بارد إلى حد أنها اضطرت إلى أن تقول له :

– وأنت أيضاً أثلجت ، مثلي

كان قد بدا لها أن هذه الكلمات العادية سوف تعود بهما إلى الإطار العادي ، الطبيعي : رئيس عمل وسكرتيرة، الذي بدآ منه.

لكن بعد فوات الأوان.

في الكبينة الفاخرة ، كما في أي مكان من العالم ، إنهما ليسا أكثر من رجل وامرأة في مواجهة الواحد للآخر. ضحك حينئذ "جان دي سيز" في هدوء – وواضعاً يده على يد "مارين" – ألزمها بالبقاء على صدره ، وبصوت جعله بين الحاني والساخر قال:

– إني أحترق تحت أصابعك يا عزيزتي وهذا كاف جداً! بعد ذلك– وقد كف عن الاستهزاء والمزاح وضع ذراعه حول كتفي الفتاة وجذبها إليه.

ثم بصوت منخفض ، عميق ، محمل بمعنى خفي تمتم:

– لم أعد أشعر بشيء ، لا شيء سوى الرغبة فيك يا "مارين" ، ثم مال عليها من جديد وعيناه لا تتركان شفتي الفتاة ، أما شفتاه فكانتا مفتوحتين إلى النصف.

كانت "مارين" تنظر إليه مثل حيوان صغير وقع تحت تأثير طائر جارح

كبير. كانت حقاً، تحاول أن تبعد عنها هذا الإغراء وهذه التجربة التي تجعل كل كيانها يقشعر. وبيدها التي مازالت في يده ، كانت تقاومه لكيلا يضع فمه على فمها. كانت تحاول أن تتعمق في الحشية التي كانت ممددة عليها وكأنها ترغب في الاختفاء فيها.

لكنه كان أقوى منها. واقتربت شفتاه من شفتيها ، عجزت عن المقاومة وكأنه حب مكتوب لها منذ الأزل . كم أن شفتيها رغبتا في هذه القبلة.

شعرت الفتاة بأن قلبها يخفق بشدة.

وأخيراً وضع فمه على فمها . لم تقبل شفتا "جان" "مارين" فقط، إنما صدر منهما ما كانت تتمنى الفتاة سماعه:

– أحبك يا عزيزتي يا حبي لو علمت إلى أية درجة. كم أنك جميلة نضرة كم أتمنى أن تحبيني أنت أيضاً.

لو كانت "مارين" تمكنت من الكلام لقالت له: إن هذه الأمنية قد تمت منذ فترة طويلة، منذ زمن بعيد، منذ أن كانت طفلة، لكن من شدة تأثرها كانت لا تستطيع النطق بكلمة واحدة. جلس "جان" بالقرب منها. لم تعد تشعر بالبرد، حتى إنها أبعدت عنها الغطاء، عدا ما كان يلف جسمها.

أخذ الموسيقار يطيل النظر إليها. مرر يده على جبينه مثل شخص يجد صعوبة في الاستيقاظ. ثم نهض، توجه وتناول زجاجة الشراب، ملأ كوبيهما، عاد نحو "مارين" مد يده لها بأحدها. لكنها دفعته بهدوء:

– لا، لقد شربت كثيراً الآن وأنا لست معتادة الإفراط في الشرب، بل ولم يسبق لي أن شربت.

هز كتفيه:

– وبعد يا "مارين"، إنها ليلتنا. ربما لا نحصل على غيرها.

اقشعر بدن الفتاة .... ماذا يقصد بقوله هذا؟

بدأت العاصفة تهدأ في الخارج. كانا بمفردهما على البحر الهادئ، وحدهما في العالم.

– ولا يهمني شيء في الدنيا إلا أن نكون معاً يا حبي.

ولما حاول أن يتجاوز حدوده ، أخذت الفتاة تقاوم بكل قوتها. فجأة رأت بوضوح ؛كما سبق ورأتها، الحجرة المجهولة عندما دفعت الباب: حجرة زوجة "جان" ؟ حجرة امرأة أخرى أو كثيرات غيرها؟

هل الموسيقار يأتي بكل من يرغب فيهن إلى هذه الحجرة؟ لابد أنه كان لا يجد صعوبة في غزو قلوب الفتيات . ليس أكثر مما قام به لإغراء "مارين" بجماله ، شهرته كعازف بيان كبير، لابد وأنه يمتلك كل الفتيات اللاتي يرغب فيهن. وهي الفتاة الصغيرة، سكرتيرته، ماهو موقفه الحقيقي منها؟

ولما حاول استخدام القوة معها انتهزت فرصة اقتراب يد "جان" منها لملاطفتها فما كان منها إلا أن عضتها مثل قطة ثائرة.

أفادت هذه الحركة في عودة عازف البيان إلى كيانه عندما رأى نقطة الدم على أصبعه.

وبعد ما لحق به من دهشة، توالى الحزن ومن بعده السخرية .

الآن الذي يمثل أمام الفتاة هو "جان" الذي تمقته، تناول علبة السجائر. سحب واحدة، أشعلها.

أما الفتاة فقد ظلت في فراشها تستر نفسها، تقرأ على وجه "جان" الحالات التي يمر بها.

سلط هذا الأخير نظره عليها كمن يرغب في إلحاق الحرج بها أكثر فأكثر.

ثم بعد لحظات كان لم يكن، وكأنه بخط شطب على ما حدث. غاية ما في الأمر كان قد قبلها، وقال لها إنه يحبها. قال:

– لا شك في أنك ترغبين في أن أخرج لكي أسمح لك بارتداء ملابسك. لابد أن يكون فستانك قد جف الآن وفي وسعك ارتداؤه، سأنهي هذه السيجارة هنا وبعد ذلك سأنفذ لك رغباتك.

نظر إلى الجرح الدامي الذي بأصبعه، ثم أردف:

– حقاً مثل فهد صغير، وما الذي لا تفعله فتاة من أجل الدفاع عن شرفها وعفتها؟ هذا خطير أتعلمين : أن تعضّي أصابع عازف بيان، معناه أن يمتنع

عن العزف .بذلك سيكون لي عذر جيد لكيلا أعزف بعد الآن.

وإن كان يمزح ، إلا أنه كان يتكلم بمرارة جعلت "مارين" تقول له وقد علت الحمرة وجهها:

– سامحني لقد صدر مني ذلك لا إراديا. ركزت على آخر الجملة، ما كان ينبغي أن يلمح ذلك. ثم جعلت صوتها واثقاً، أضافت إليه سخرية على قدر استطاعتها. أردفت:

– أعتقد أنها ليست خطيرة إلى هذا الحد.

في هدوء – وكأنه لم ينطق بكلمات الحب الحارة التي مازالت "ترن" في أذني الفتاة – جلس "جان" يدخن السيجارة بنفس التراخي الذي له عندما يتواجد في صالونه.

اقترب من زجاجة الشراب، ثم – مقطباً حاجبيه – اقتنع. قال في أدب:

– إنه أنا الذي يجب عليه أن يعتذر، إذ إني غفلت عن أنك فتاة.

شعرت "مارين" بان كل كلماته عبارة عن حجارة يقذف بها كانت تؤلمها جداً.

ثم أضاف :

– أو أصح، كنت أجهل ذلك، إن قبلاتك كانت أقرب إلى قبلات سيدة.

كان يتكلم بنبرة وقحة ولم يبعد نظره عنها ساخراً،وقحاً وابتسامة خفيفة على شفتيه.

إذن هل كانت كلها مزيفة؟ ألم يفكر فيها أو أنها جزء من قائمة ألفاظ "دون جوان"؟

شعرت "مارين" بوجنتيها تعلوهما الحمرة تحت هذه النظرة الفاحصة، نظرة رجل لفتاة.

هل رغب في الاستفادة من ارتباكها بعد أن دفعته عندما خافت منه. هل هو رجل بلا وساوس؟ استنتج أن سكرتيرته الصغيرة تحبه، وأنه يتسلى بمداعبتها بلعبة القط والفأر.

أطفأ سيجارته.

– هانا آفي بوعدي : ساشغل الموتور واعيدك إلى المنزل.

حاولي ألا تهربي؛ لأن ذلك سوف يجنبني فقد وقتي في الجري وراءك لإنقاذك!

ثم تخطى عتبة الكبينة في لامبالاة وكان شيئاً لم يحدث.

الفصل الثالث عشر

"جان و"مارين" عادا دون أن يتبادلا كلمة واحدة : هي في الكبينة وهو يقود القارب بأقصى سرعة.

دون أن يطلقا حتى زفيراً، تفرق هذان الكائنان من كانا – خلال تلك الليلة المرعبة– قريبين جداً من بعضهما. عند عتبة المنزل اتجه كل منهما إلى حجرته.

عندما دخلت الفتاة حجرتها – وقد تخلى عنها الكبرياء – تمكنت أخيراً من الاستسلام إلى يأسها . لمحت في المرآة التي طالما عكست لها صورة رائعة عن جمالها. هل هي ، هذه السيدة المجهولة التي تنظر إليها بحزن دون اسم؟ هل الفستان الأبيض الذي كانت ترتديه ليلة أمس، في "آندراتكس" تلطخ، تقلص وتمزق؟ لقد بدت لها فترة بعد الظهر مختلفة عما كانت عليه في الميناء الصغير الذي تواجدت فيه تعسة، لقد تحولت هذه الفترة إلى شعاع شمس واضح، ومرح بالقياس إلى الفترة التي قضتها.

كان شعرها غير المنسق، مازال مبتلا، يتساقط في خصلات على كتفيها حول وجه شاحب ذي عينين ذابلتين. كانت عارية القدمين على الأرض ذات البلاط القديم مما أضاف المزيد إلى حزنها.

"يا إلهي، هكذا ، إنني أشبه بقط صغير تم انتشاله من الماء. ماذ كانت تقول والدتي لو أنها رأتني؟"

وبينما تتفحص نفسها في المرآة ، رأت أن الدموع تسيل على وجهها في سكون . لم تشعر حتى أنها تبكي . إنه ارتخاء الأعصاب بعد توتر هذه الليلة البشعة ، الرهيبة.

هل هذا هو الحب إذن؟ هذا المزيج من الخشونة، الحنان ، الشراسة والكلمات العذبة؟ صدمة تتركك تائهة لا تدرين أين أنت، مع إحساس من اليأس يملأ القلب! عادت بتفكيرها إلى والدتها، إلى ابتسامتها المشرقة ، عندما كانت تنظر إلى "شارل" زوجها الجديد ؛ المودة الرقيقة التي كان يظهرها، إنها لا تقاس بهذه العاطفة الوحشية التي مرت بالقرب منها وفيها.

نظرت إلى ساعتها : الخامسة، خلال أربع ساعات ، ستكون قد نسقت شعرها ، ترتدي ملابسها بصورة طبيعية ، ثم تتواجد في المكتب الصغير في انتظار "رئيسها" لكي يملي عليها الخطابات.

لكن ترى هل سيأتي؟ على أي حال ، ومهما حدث بعد ذلك ، فلقد حرصت على أن تبدو بلا عيب.

لم تشأ أن تدع لـ "دون جوان" الفرصة حتى يعتقد أنه هزمها بالتمام.

لم تشأ أن تقدم له – ولاشك في أنه سوف يبتهج له– مشهد سوء حظها.

اعتقدت "مارين" أن دشا دافئاً قد يعيد إليها هدوءها.

بدا لها أن الماء – بسريانه على جسمها، سوف يغسله من هذه الليلة.

وهي – في الوقت ذاته – تعلم أنها لن تنساها، وأنها – حتى نهاية أيامها– ستظل أسوأ وأيضا أثمن ذكرى.

*****

عقدت "مارين" شعرها على عنقها، وضعت القليل من المساحيق على وجهها ، لكي تخفي شحوبه ارتدت في بساطة جينزا وشيميزيه ورديا، ثم انتظرت في المكتب . ترى هل "جان" سوف يأتي؟

دخل، أشبه ما يكون بالمرة الأولى التي رأته فيها. كان "جان" في ملابسه البسيطة الأنيقة : بنطلون وقميص باللون البني، بعيداً كل البعد عن قرصان الليلة الماضية. قدم برأسه تحية للفتاة:

– صباح الخير، يا توقف عند أول الكلام، تساءلت إذا كان سينطق "آنستي" . قال: "مارين"

وكان – أثناء إملائه بعض الخطابات، ينظر إلى ساعته كشخص على موعد . توقف أثناء تلقينها أحد الخطابات، قضى بضع ثوان في التفكير، ثم قال:

– كان ينبغي لي أن أتناول الغداء مع "رين كاسار" . تكرمي واتصلي بها لإلغاء هذا الموعد.

كان أشبه بشخص يبحث عن أحد الأعذار.

قال:

– آه! مع كل، فلنقل الحقيقة ، لأنها في النهاية سوف تعرفها : إني على موعد مع قائد الفرقة "رولان بيرت" الذي وصل من "باريس" . أخبري "رين" بأني لم أتمكن من إخطارها بذلك قبل الآن ، لأنه اتصل بي هذا الصباح لكي يخبرني بأنه سوف يستقل طائرة الساعة العاشرة.

تردد، هز كتفيه:

– هذا كله. ستدرك كل شيء ! أنا لا أستطيع الاتصال بها بنفسي. ينبغي أن أنصرف للذهاب إلى المطار.

وعندما وصل إلى عتبة الباب، التفت إلى الفتاة، في لطف وبرود:

– ليتك تبلغينها هذه الرسالة كما هي، فأنا لا أحب التكلم في حق الناس .

وتماماً كما كان يفعل عند وصولها حياها بإشارة من رأسه وخرج. الآن هاهي "مارين" بمفردها في الغرفة الصغيرة المشمسة ممسكة بالمفكرة. سمعت في الخارج صوت أقدام "ماجدالينا" .

الحياة كما هي لا تتغير. على أحد الشواطئ، أطفال يمرحون. وعلى البحر – كما على كارت بوستال – سفن شراعية بلا حركة، في انتظار الريح. في الأسواق، يبيعون فواكه وأسماكاً.

ومع ذلك ، لقد تغير كل شيء ! لم يعد شيء ما مشابها أبداً بالنسبة لـ "مارين" . خيل إليها أنها تشاهد كل هذه الأمور ، كل أحداث الحياة اليومية ، من خلال مرآة. كلها موجودة ، لكن "مارين" لا تستطيع الوصول إليها ، ولا الاستمتاع بها: إنها لم تعد سوى مشاهدة للمسرّات

التي يقدمها الوجود!

ماذا ؟ هل هذا الرجل الذي ضمها إليه قائلاً "أحبك" ، هل كانت مجرد كلمة ودية؟

كانت هذه الليلة بالنسبة له وكأنها لم تكن . لقد حذفها ببساطة من ذاكرته.

تحققت من أنها– دون أن تعترف لنفسها بذلك– كانت تتمنى الحصول على إيضاح ، مصالحة، كلمات حانية ووديعة قد تمحو جفاف التصرفات السابقة . كما كانت – في أعماقها – تجد أنه من المستحيل أن كل ذلك لم يكن سوى مسرحية "دون جوان" : كم أنه يحمل الاسم جيداً!! لقد تسلى بهذه الفتاة الصغيرة العاشقة. لابد أنه ظنها فريسة سهلة المنال. وعندما قاومت تركها . لا تهمه ، إذ إن هناك غيرها الكثيرات – كما قال– تحت رجليه.

بدا لـ "مارين" أن كل مابداخلها قد انتهى، قد مات! ومنذ أن أغلق "جان" الباب لم تتحرك الفتاة، بل ظلت في مكانها وكأن الحزن سمرها. كانت آخرجملة قالها مازالت ترن في أذنيها : ليتك . أنا لا أحب التكلم في حق الناس.

نظرت – حائرة – إلى الباب وهو يغلق عليه. ماذا يقصد بقوله هذا؟ ثم فهمت.

"جان دي سيز" كان قد سمع الليلة قبل الماضية ما قالته "رين" ، لكن نهاية جملتها فقط، وحينئذ اعتقد أنها رد على سؤال "مارين" . وظنها بذلك هي المتطفلة وليست المطربة.

لا يهم ، على أي حال ها هي "مارين" قررت الآن: عندما يعود عازف البيان هذا المساء فلن يجدها . سوف ترحل. لقد قررت عدم البقاء عنده يوماً واحداً بعد اليوم.

وقبل أن تتصل بـ "رين" ، طلبت المطار. توجد طائرة مقلعة إلى "باريس" في الساعة الرابعة وثلاثين دقيقة.

حجزت مكانها على هذه الطائرة . ثم كتبت على الآلة كلمة لكي

تعتذر : إنها اضطرت للسفر إلى "فرنسا" فجاة: لاسباب عائلية . هاهو كل شيء قد أعد.

ثم طلبت "رين" . كانت تتوقع ما سوف تقوله المطربة .

لكنها كانت لا ترغب في معرفة الحقيقة، إنها سوف تسعى إلى نسيان هذه الأيام. وكان هذا شيء ممكن!

كانت "رين" مازالت نائمة عندما اتصلت بها "مارين" . وإذ كانت الفتاة لا ترغب في التحدث إليها إلا أنها فرحت، إذا بها تسمع هذه الأخيرة تقول لها ضاحكة:

– ساوقظها. إن مكالمتك تساعدني على ذلك . وقبل أن تبدي "مارين" اعتراضها ، سمعت الفتاة تقول على الخط الداخلي:

آنسة "رين"، آنسة "رين" استيقظي. مكالمة من طرف السيد "جان دي سيز" .

سمع بعد ذلك صوت مشوش، تثاؤب ، ثم صوت المطربة وهي تقول وهي مازالت نائمة:

– إنك أنت يا "جان"؟

– لا "مارين" .

– يا صباح الخير، يا حبي، كيف حالك؟ أعتقد أني كنت في حالة عدم اتزان عندما تقابلنا آخر مرة. لقد سردت لك سخافات.

ثم سمعت بعد ذلك تثاؤباً. كانت "رين" تجد صعوبة في الاستيقاظ.

تساءلت "مارين" إذا كانت المطربة سوف تعود إلى الحديث الذي بدأته في "ميني فولي" ، أو أنها بالعكس ترغب في جعلها تعتقد أنها كانت قد اخترعت أموراً غريبة لأنها كانت في حالة سكر. على أي حال ، "مارين" عزمت على الاختصار في أي حديث يدور حول "جان" . كان لا داعي لهذا الأخير أن يوصيها بذلك. لأنها تعتزم القيام من نفسها.

نقلت لها رسالة عازف البيان بسرعة.

وعندما كانت موشكة أن تنطق بـ "إلى اللقاء" ،وأن تخفض سماعة التليفون، سمعت صوت المطربة وهي يقظة تماماً:

– لأن "رولان" قرر المجيء. أتعشم أنه سيكون الوحيد الذي يستمع إليه "جان" ويتعقل لأن في النهاية لن يتخلى عن مهنته، هذا يعتبر جنوناً؛ ألا ترين ذلك؟ لكن "مارين" لم تسمع أكثر من ذلك وخفضت السماعة. أحرجت لهذه الحركة غير المهذبة، لكنها أفضل وسيلة لتجنب ثرثرة هذه المطربة. ربما تعتقد هذه الأخيرة أن الاتصال قد قطع. هذا ما كانت الفتاة ترجوه. على أي حال لقد عزمت على عدم الرد إذا سمعت رنين التليفون.

كتبت على الآلة الخطابات التي أملاها عليها عازف البيان. وهي الأخيرة التي تنفذها له.

ثم رتبت المكتب، وضعت كلمتها الصغيرة على المائدة بحيث يراها عند دخوله. وخرجت. كانت "ماجدالينا" قد أعدت سمكا محشواً لوجبة الغداء لأنها تعلم أن الآنسة تحبه . وعلى الرغم من أنه لذيذ ومعه الشراب المعروف تناولته "مارين" رغماً عنها، حتى لا تسيء أو تصدم السيدة الطيبة لأنها تسعى دائما إلى إرضائها.

فكرت في أنه ينبغي لها أن تعلن لـ"ماجدالينا" رحيلها. وهو أقل الأمور. ثم لابد أن "أنطونيو" يرافقها إلى المطار . وإلا كيف ستتصرف؟

وأشارت إلى السيدة بنفس الغرض الذي كتبته لـ "جان" : لقد تلقت منذ قليل اتصالاً هاتفياً من "فرنسا" يجعلها مضطرة إلى العودة فوراً إلى "باريس" .

تضايقت "ماجدالينا" . كيف سيتصرف "دون جوان" بدون سكرتيرته ؟ وهي نفسها ؟ لقد اعتادت وجود هذه الفتاة. ترى هل ستعود هذه الأخيرة بعد قليل. بكذبة بيضاء ولكيلا يخيب أملها قالت "مارين" للسيدة: "نعم" وأنها سوف تعود.

ألقت الفتاة نظرة أخيرة من حولها. هاهي الخميزة بزهورها الرائعة كالمعتاد والبحر يلمع من بين الأقواس وسط أشجار الصنوبر. والشاطئ

من أسفل –وأمامها – القوارب.

استعادت الفتاة ذكرى هربها واقشعرت، ومع كل لقد بدا لها أن دهراً قد مضى منذ هذه الأحداث .

نعم، كان لابد لها من أن تهرب من هذا الرجل الخطير، قبل أن يعود لأنها – وهي تشعر بذلك، ستكفي كلمة أو إشارة منه لكي تشل حركتها: ذبابة في خيوط عنكبوت.

رحلت دون أن تعلم من هو "دون جوان".

هذا الرجل المتعدد الوجوه ظل مجهولاً لها.

لكنها لن تنساه أبداً. اكتشفت "مارين" في يأس أنها على الرغم من هذه الليلة وكذلك من هذا الصباح الذي عاد فيه بهدوء "رئيسها" – لن تتمكن من انتزاع هذا الحب من قلبها.

لن تستطيع نسيان هذه الأسابيع الثلاثة التي قضتها بالقرب منه وما اختلط من خلالها – رغما عنها– بمأساة تجهلها وسوف تجهلها بلا شك دائماً. كما أنها تعلم أهم فترة في حياتها.

ثم فكرت "مارين" : " سنوات نكدة؛ ماذا سيكون مصيري؟" فهي تعلم أنها لن تستطيع حب رجل سواه . وكما تخلت عن البيان، سوف تتخلى عن الحب، تماماً. أن تعزف هنا أو هناك مقطوعة موسيقية ، أن تحب قليلا أحد الرجال، لا، هذا لا يناسبها.

تذكرت بابتسامة حزينة هذه المقولة التي كانت تكتبها على كراريسها وهي طفلة : " كل شيء أو لا شيء"

إذن: لقد اختارت "لا شيء" إذ إنها لم تحصل على كل شيء . تخيلت هذه السنوات الطويلة وهي تمر الواحدة بعد الأخرى، وأطلقت زفيراً.

ثم ودعت في صمت كل ما حولها، كل ما كان خلال هذه الأيام: عالمها، البحر، الأشجار، غناء الصراصير، الخبيزة الوردية. استعادت أيضاً ذكرى الجزيرة الضئيلة حيث تعرضت للشمس وكذلك المنزل الريفي الصغير في "فالديموزا".

"يان" غير موجود . و"مارين" أسفت لذلك. كانت تتمنى أن تودعه

هو أيضاً.

نهضت وقد عقد حلقها . غداً ، لن يبقى شيء مما اكتشفت وأحبت. تنفست بعمق وببطء لكي تهدئ من ضربات قلبها، تعمل على استعادة هدوئها. ثم توجهت إلى حجرتها.

وعلى المدفأة بدا لها كان الرجل والمرأة الـ"سيرويل" يبتسمان لها. ثم بعد أن فتحت الدولاب، أخرجت منه حقائبها ووضعتها على المائدة . جمعت كل حاجياتها، عدا ما سوف ترتديه للسفر. وإن كان شهر تموز (يوليو) حارا لكنها تمطر في "باريس". وبذلك فساتين الصيف تعتبر غير مناسبة . إذن لن ترتدي ما تطويه وتضعه في حقائبها.

إلى أين ستتجه؟ همّ آخر: لكن لا يهمها. كانت لا ترغب في العودة إلى إزعاج سعادة والدتها. وهو الأمر الوحيد الذي تثق به، لأن كل ما يذكرها بطفولتها قد انتهى. ثم إنها لا ترغب في إزعاج والدتها، وإن كانت– وهي تلوم نفسها على هذا الإحساس– تعلم تماماً أنها لن تحتمل هذ الموقف.

وأثناء ما هي غارقة في أفكارها، لم تلتفت إلى أنها وضعت في الحقيبة الفستان الأخضر الذي ارتدته في المرتين اللتين خرجت فيهما مع "دون جوان". امتلأت عيناها بالدموع عندما رأت هذا الفستان ملقى بإهمال. وهي من منحته المزيد من العناية عندما كانت تعد حقيبتها للسفر ، ها هي تلقي فيها بكل حاجياتها بإهمال.

فجأة خشيت أن تكون قد تأخرت عن الموعد المحدد. نظرت إلى ساعتها . سيأتي "أنطونيو" لاصطحابها في الساعة الثالثة . مازال أمامها نصف ساعة، وفجأة سمعت قرعات على الباب. التفتت دهشة . "دون جوان" على عتبة الباب

قال:

– لا فائدة من الهرب! ليس هناك ما يدعو لأن تخافي مني. ربما أكون قد قتلت زوجتي لكني لست سفاحاً.

الفصل الرابع عشر

لم تكن كلمات "جان دي سيز" تمثيلاً في هذه المرة: لم يكن محتداً ولا ساخراً. إنه لا يبغي الآن إذلالها أو أن يسخر منها. إنه رجل واقعي وفهمت للمرة الأولى أنه بمفرده.

وقف "دون جوان" مستقيماً، مستنداً إلى الحائط. خافضاً وجهه بعض الشيء، مقدماً هذه الطلعة اللغزية، الشامخة التي لسادة عصر النهضة. بطريقة آلية، كانت أصابعه تحرك الخاتم الكبير الذي في اليد اليمنى والذي يحمل شعار أسرته.

أما "مارين" فكانت واقفة أمام" حقيبتها المفتوحة. ومن شدة دهشتها لرؤيته هنا ظلت بلا حركة كأنها مسمرة في مكانها.

بدأ يوضح لها:

– لقد علمت – بداهة – أني إذا عدت متأخراً فلن أجدك. لذلك تركت "رولان" أمام قهوته، وبدون استئذان أو إيضاح قفزت إلى سيارتي.

ألقى إليها نظرة، ثم إلى الحقيبة:

– . وهانا أرى أني لم أخطئ. كنت موشكة أن ترحلي. لم يكن سؤالاً ولا تأنيباً أو لوماً: مجرد ملاحظة، اكتشاف.

ثم أردف:

– بالتأكيد. أفهم.

تقدم خطوة، كأنه يأتي نحوها، والفتاة تراجعت بتلقائية. أبدى ابتسامة خفيفة محفوفة بالأسى.

– اسمعي يا "مارين". هناك فرق بين رجل قد جعله الخوف والخمر ثملاً، وبين نفس الرجل في حالته الطبيعية!

ثم أخفض عينيه، كأنه لا يرغب في أن تقرأ الفتاة شيئاً فيهما.

– لقد سكرت مرتين في حياتي، دون أن أشعر بالسعادة؛ لأن في كل منهما فقدت المرأة التي أحبها.

رفع عينيه، تفحص "مارين" وقال بصوت أراد أن يجعله هادئاً، لكنه كان يعتبر تعبيراً عن عاطفته.

– المرة الثانية، كانت هذه الليلة. الفتاة الثانية هي أنت يا "مارين". قرأت في عينيه أنها حقيقة. إنه يحبها.

لكن سرعان ما تمالك "دون جوان" نفسه. ودون أن يبدي حركة، واصل:

– من أجل ذلك عدت. إذا فقدتك – فاعلمي على الأقل أني لست مجنوناً ولا سفاحاً على الأقل في المعنى الشرعي للكلمة، أما في المعنى النفسي، فهو شيء آخر. هل يمكنك تأخير رحيلك بضع ساعات لكي تستمعي إليّ؟

تملكتها رغبة في أن تلقي بنفسها بين ذراعيه وأن تقول له:

– "نعم أنا أيضاً أحبك، ولا يهم أي شيء بعد ذلك". لكنها لم تجرؤ. بقدر ما كان "جان" قريباً منها، بقدر ما هو بعيد عنها وكأنها تراه في مرآة.

حينئذ تمتمت ببساطة "نعم".

على ما يبدو – أن هذه الكلمة الصغيرة قد طمأنته كثيراً. وبنظرة مسح الحجرة حيث تتراكم الأمتعة.

– هل يضايقك أن تأتي معي إلى الصالون؟ أنا لا أحب الحديث في حجرة، لأن ذلك يحرك الكثير من الذكريات.

ودون أن تنطق بكلمة تبعته إلى الغرفة الكبيرة. كانت "ماجدالينا" قد فردت ستائرها، وأصبحت في ظلمة مضيئة أشبه بالدير.

سار "جان" نحو البيان وجلس على المقعد الصغير: حركة لابد أن يكون قد قام بها آلاف المرات. لكن هذه المرة، فهو يدير ظهره إلى الآلة. وفي مواجهته، كانت "مارين" تجلس على مقعد من الجلد، مشبكة يديها وكأنها تصلي.

مرة أخرى نظر إليها "جان" كما ينظر المرء إلى شخص مسافر لن يراه أبداً بعد ذلك. وكانت نظرة ألم. كانت "مارين" تحدثه في

نفسها: "لكن يا جان" إني أحبك، وإذا كنت تحبني فمن الممكن أن تعود الأمور إلى ما كانت عليه". لكن لسبب تجهله كانت الكلمات لا تخرج من فمها.

ورويدا رويدا ابتعدت نظرات عازف البيان عنها. لابد أنه يرى شيئاً آخر، امرأة أخرى. وثقت الفتاة بذلك.

وبصوت مكتوم بدأ قصته:

– منذ عام مضى كنت هنا.

ثم مسح الحجرة بنظرة حزينة

– وجب الإدلاء لك بأني أحب كثيراً هذا المنزل، هذه الجزيرة. إذ كان والدي فرنسياً، ووالدتي – ربما تعلمين ذلك– كانت إسبانية؛ لكن ما يجهله الناس عامة هو أنها كانت من أصل "ماجوركي". كنت أحب أن آتي إلى هنا لكي أستريح بين جولاتي.

ومن جديد، تركت نظرته الحقيقة، لكي تسرد الماضي:

– إذن، حدث ذات مرة أني أتيت إلى هنا بعد سلسلة حفلات غنائية شاقة. وإذا بـ "رين" تدعوني إلى العشاء في اتصال هاتفي. والغريب هو أني كنت لا أرغب في الذهاب إلى هذا العشاء.

– (أطلق زفيراً). فحدث أني امتنعت! لكنها ألحت وأنا لا أعرف الرفض لأصدقائي. وعندما وصلت عندها اعتقدت أنها فرصتي، وحظي الذي شاء أن آتي في هذا المساء.

– شخصية رائعة، كانت جالسة في الشرفة التي تعرفينها. وكانت أشعة شمس الغروب تضيء شعرها: شعرها وهو بلون القش؛ لأنها كانت شقراء بقدر ما أنت سمراء يا "مارين". لقد قدمتها لنا "رين": إنها موديل سويدية. ضحكتها، عيناها الخضراوان، قوامها، كل هذا سحرني؛ أنا من كانت لي مغامرات بلا حدود، ولم أحب قبل ذلك، في تلك الليلة اعتقدت أني تقابلت مع الحب!

احتفظت "مارين" في هذه الأثناء بيديها مضمومتين الواحدة للأخرى. كانت كل كلمة بمثابة جرح يوجهه إليها "دون جوان". لماذا

يخبرها بكل شيء حالياً بينما أنه أعلن حبه لها؟ أو أن من عادته أن حبه لا يدوم أكثر من عام؟

كادت تصيح: "اسكت! اسكت! ألا ترى أنك تعذبني".

لكن هنا أيضا رفضت الكلمات اجتياز شفتيها.

وكان الحب– هكذا واصل "دون جوان" – كما يصفه الروائيون.

وأنا– من لم يثق به قط– أصبحت ضحيته بعد شهر تزوجت "أوللا"، "ولقد تم الزواج في أكبر سرية ممكنة، في كنيسة قرية صغيرة، "آلحايدا". وكان شهودي هم أصدقائي المقربين إليّ. وخاصة كنت لا أرغب في أن لا يعلم الصحفيون هذا الخبر، وينشرون حبي للمجتمع. إننا نعيش هنا في جزيرة محدودة، تعيش منطوية على نفسها؛ لذلك كان من السهل الاحتفاظ بهذا السر، بالإضافة إلى أن الخادمين اللذين كانا عندي منذ سنوات، كانا قد بلغا سن التقاعد، وتركاني منذ فترة ليست بالقليلة قبل ذلك. وفي انتظار العثور على غيرهما كان أحد البيوت المتخصصة يقوم بكل احتياجات منزلي. فكان الموظفون لا يهتمون بحياتي الخاصة، يجهلون إذا ما كنت موسيقاراً– مشهوراً. أخبرك بذلك يا "مارين" حتى تعلمي أن كل ذلك بات في طي الكتمان. قضيت ثلاثة شهور في سعادة مع زوجتي الشابة، لكن بعد قليل تأكدت أنها ليست الزوجة المثالية التي في خيال كل رجل. فكنت أصالح نفسي بقولي: المثالية غير موجودة.

– لم أشأ الذهاب في رحلة شهر عسل. لأن الأسفار – بالنسبة لي– تعتبر جزءا من عملي. أن أبقى هنا مع زوجتي التي أحبها أفضل ألف مرة. لا شك في أني كنت مخطئاً: فهمت بسرعة أن "أوللا" كانت تتضايق في الجزيرة. البيانو.

ابتسم للفتاة:

– كنت أعزف ثلاث ساعات في اليوم. كنت على حق تماماً عندما قلت لي هذا يا "مارين". وكان هذا من مسببات ضيقها إذ كانت – مما لا شك فيه– تفضل موسيقى الديسكو. وفي الواقع كان ما يعجبها هي

حياة المجتمع التي كانت تتمنى معايشتها معي. كنت أنسب كل ذلك إلى شبابها.

عندما أقوم بجولاتي- هكذا فكرت - ستكون لها الحياة التي تحلم بها -ولاشك - أنها سوف تمل بسرعة مثلي"

هنا، كنا نتردد على بعض الأصدقاء فقط ، من هم على علم بزواجنا؛ كان من بينهم شخص إسباني: "دون دومينجو" "كيس إي سيرادي". صاحب بنك وهو من أثرياء "إسبانيا" وله أملاك كثيرة في الجزيرة استقبلنا عنده. انبهرت زوجتي من الترف الذي بمنزله بقدر ما هي كذلك- لقد لاحظت ذلك- بهرت مضيفنا.

كان من الممكن أن أكون غيوراً، لكني كنت أثق بعمق حبنا؛ لذلك وضعت ثقتي كاملة بـ "أوللا". التقينا عدة مرات بـ "دون دومينجو" سواء عنده، أم عند بعض الأصدقاء. كان يتقرب من زوجتي ولكن في إطار محدود وفي لياقة. كان من الصعب أن أرى في ذلك، الجانب السيئ، لأن تصرفاته كانت لا تحيد عن المرح الإسباني. غير أني بدأت أتضايق.

وأول مشاجرة مع "أوللا" كانت بسبب رفضي دعوة من "دون دومينجو". ثم كسائر المحبين في العالم، نتصالح. إنك تعرفين "رين"، إنها صريحة جداً ذات قلب ذهبي. إني أتغاضى عن ثرثرتها التي لا تتجاوز دائرتنا الضيقة. إذا كانت بدت معك غير كتوم - وهو ما أتحامل عليها فيه حالياً- هذا لأني وضعت ثقتي بها وكشفت لها عن أسراري، وفي الحال تعاطفت معك. لكن "أوللا" لم تكن بهذا السلوك. وما يدعو للعجب، وبما أن لقائي بـ "أوللا" كان عندها، كانت "رين" ضد هذه الزيجة. اعتقدت حينئذ أنه بدافع الغيرة الودية. ليس سوى ذلك: إننا فعلاً أصدقاء ولسنا محبين. غير أن كثيراً ما تبدي الصداقة غيرة من الحب؛لم التفت إلى ذلك، ظناً مني أن الزمن كفيل بإصلاح الأمور.مضت عدة أسابيع لم أرها خلالها - أحسست بأنها تبتعد عنا - عندما قابلتها ذات مساء عند "جوزفين دي كرواي". وكان "دون

دومينجو" هناك من باب المصادفة السيئة . وكعادته أبدى اهتمامه بـ "أوللا". وكثيراً ما كان على حسابي.ولما ازداد ضيقي اعتزلت.

أخذت أدخن سيجارة أمام الحمام ، وإذا بصوت "رين" يصل إلى مسامعي . كانت قد خفضت صوتها الأوبرالي الرائع ، لكن لم يمنعني ذلك من سماعها.

كانت تقول لشخص ما لا أراه ، لكن لابد أنه كان رب أو ربة المنزل:

- أنا لا أفهم لماذا دعوت "دون دومينجو" و"دون جوان" في نفس الوقت، إنك على علم مثلي أن "أوللا".

سمعت همسات "هس". لابد أنهم نحوني .توقفت فجأة. لكنه لم يكن كافياً... بالنسبة لي كنت أرغب في معرفة ما سوف تقوله.

اتجهت نحوها مقشعراً من الغضب:

- ما الذي كنت ستقولين عن "أوللا"؟

كعادتها كانت قد أفرطت في الشراب ، وأنت تعلمين أنها خطيئتها.

ترددت لثوان ثم هزت كتفيها وقالت:

- مسكين يا "جان" يا صديقي العزيز . إنك الوحيد الذي لا يعلم أن زوجتك تخدعك ! وأنا لا أحب أن يتم ذلك خفية عن أصدقائي

مكثت في مكاني ، مصدوماً ، حائراً. أمن الممكن ؟ إذا بشخص يضع لي في يدي كوباً شربته دفعة واحدة - وبعد قليل - أعاد لي رباطة جاشي . أنا لست الرجل الذي يقبل فضيحة في منزل الأصدقاء .

توجهت إلى البوفيه حيث كنت قد تركت زوجتي قبل ذلك بدقائق. لم أجدها وأثناء بحثي عنها، تناولت كوبين من الشراب الواحد تلو الآخر. سألت عنها بعض المدعوين كان الرد يأتيني عبارة عن حركة غامضة وكما بالمصادفة ، كان "دون دومينجو" قد اختفى هو أيضا. حينئذ شعرت بأن الجميع يخفون عني أمراً ما.

وأخيراً وجدت "أوللا" في صالون صغير تتبادل الحديث في هدوء مع هذا الإسباني. ليس ما يثير الشك في أنها محادثة عادية. لكني شعرت بغيرة قاتلة . أمسكت بمعصم "أوللا" :

سنعود!-

- آه، آلا - هكذا قالت لي. . ليتنا نمكث قليلا دعني أمرح!.

قبضت بقوة على معصمها الذي كانت تحاول سحبه من يدي. انسحب "دون دومينجو" في غير إزعاج- لكنّ أصدقاء آخرين أتوا ملقين إلينا نظرات الدهشة والاستفسار.

في هذه اللحظة لعب الشراب برأسي.

دفعت بالمدعوين، سحبت "أوللا" نحو سيارتي، دفعت بها داخل السيارة ثم انطلقت.

جلست "مارين" تستمع إلى حديث "جان"، دون أن تفكر في مقاطعته لقد فارقتها الغيرة وها هي الآن تتألم لآلام من تحبه.

كان عازف البيان يتوجه إليها بحديثه هذا. غير أن انغماسه في الماضي بدا وكأنه جعل منه ميتاً حياً لا يرى شيئاً ولا شخصاً.

توقف عن الكلام بضع ثوان، الوقت الكافي لإشعال سيجارة، ثم استطرد:

لا داعي بأن أخبرك أن المشهد الذي بدأ عند أصدقائي استمر طوال الليل. وكانت تأتي إلى ذهني أحداث كنت أعمل على إبعادها في الحال، لكني حالياً أطلب عنها بعض التفاصيل.

كانت "أوللا نامت وأنا أواصل صياحي تحت قدميها: لقد أخبرتني يوم الثلاثاء بأنك مكثت عند الحلاق حتى الساعة الخامسة والنصف. في حين أني في الرابعة كنت قد اتصلت بالتليفون ولم أجدك هنا وعندما أعطيتني موعداً للجولف في نادي "سان فيدا"، كنت منصرفة لتوك كما ادعيت.، لكن الصبي لم يرك طوال فترة بعد الظهر. كانت ثورتي قد تزايدت من تأثير الشراب الذي بدأت في شربه من جديد. أخذت "أوللا" حينئذ ترتجف، تنتحب، تعجز عن الإجابة ولو بكلمة واجدة.

وفي النهاية، قلت لها - في ثورتي: " ارحلي! ابتعدي عني! لا أرغب في مشاهدتك!...."

وأغلقت بابها بشدة وأتيت لكي أحتمي هنا. فتحت البيان، عزفت

لكي أهدأ وأخمد ألمي. وفجأة سمعت سيارتي تنطلق.

أسرعت إلى حجرتها، فلم أجد أحداً. وعلى الرغم من ذلك لم أقلق؛ سوف تعود بعد ساعة ... هكذا جاء تفكيري.

وها هي ثورتي هدأت في نفس الوقت الذي زالت عني فيه حالة الشراب. بدأت أرى الأشياء بطريقة طبيعية. كان لابد من إلقاء الضوء على هذه القصة. وخاصة لتبطل الأقاويل.

لم أصدق أن "أوللا" تخونني بعد ثلاثة شهور من الزواج.

والآن هانا أوبخ نفسي لأني أصغيت إلى البعض والى الآخرين، لأني أسرفت في الشرب، ولأني أتيت بمثل هذه الأعمال مع زوجتي. فكرت حينئذ في أن أعرض عليها - عند عودتها- القيام برحلة شهر العسل التي لم أشأ القيام بها بعد زواجي

*****

وكان "جان" قد نهض. اقترب من "مارين"، وضع يده على كتف الفتاة التي كانت تنظر إليه صامته:

- لم تعد يا "مارين". لقد قتلت نفسها!

الفصل الخامس عشر

كانت الساعة السادسة صباحاً عندما رن جرس الباب... بعد بضع ثوان من الصمت- سمحت له بالتغلب على المه_ عاد "جان" إلى قصته التي كانت تستمع إليها "مارين" دهشة،وكانت خصلة شعر قد سقطت على وجهها الذي علته الحمرة من التأثر.

فتحت الباب، مقتنعاً بأنها "أوللا". وعندما شاهدت زي الجنود وما بدا على وجوههم من حرج، فهمت أن ماساة قد تمت لقد تعرضت زوجتي لحادثة مميتة، قد تكون قد اندفعت بالسيارة نحو شجرة وماتت

في الحال.

بعد قليل ، أتى فلاح على عربته ، رأى هذه السيارة محطمة.

وفي الحال ، بأسرع ما أمكنه البغل الذي يسحب العربة، قام بإبلاغ الشرطة . لكن عندما وصل الجنود، عاينوا حادثة السيدة التي انتشلوها من حطام السيارة ، كانت عبارة عن جثة. ثم بصوت منخفض أكثر ، أضاف عازف البيان: ويا للغرابة ! كان وجهها الجميل سليماً..:. وكأنها تبتسم ، لقد داهم الموت "أوللا" دون أن تدري.ماذا كان في وسع "مارين" أن تقول ؟ أي الكلمات تستخدم ؟ ها هي بصوتها العميق ، الهادئ وهو من بواعث سحرها ، تمتمت:

– "جان" ....

ابتسم لها ورفع خصلة الشعر النازلة على وجنتها، وغمس وجهه في عطر شعرها الحريريمكثا هكذا بلا حركة بضع دقائق . وإذا بـ "ماجداليناً" توقظهما من هذه اللحظات الحالمة وهي تمر في صحن المنزل تدندن... الحياة هنا، قريبة ، ذهبية من تأثير الشمس أثناء ما كان "جان" يحكي حالة هذه الوفاة . ثبتت "مارين" عليه عينيها وقد حبست الدموع فيهما فأصبحتا أشبه ببركتين صغيرتين .

كم عانى هذا الرجل ! استعادت – داخلياً– هذه اللحظة المأساوية ، القصيرة ، الوقت اللازم لفتح باب على القدر ، حيث تأرجح كل شيء وحيث السعادة أصبحت تعاسة! هاهي الفتاة قد فهمت كل شيء الآن: الحجرة المهملة ، من البديهي أن "جان" تركها كما هي عندما غادرتها "أوللا" ؛ المناخ المحزن الذي يسود حول عازف البيان، السر الذي عمل أصدقاؤه على إخفائه ... وحتى ثورته . لقد حطم الألم هذا الرجل. ولأنها تحبه بعمق– حقاً– غفلت عن غيرتها وحبها له: تمنت من كل قلبها ، تمنت ألا تحدث مثل هذه الحادثة المحزنة، أن يكون اليوم "جان" سعيدا بالقرب من زوجته، وأن يصدر البيان الأنغام تحت أنامله .جلس على مسند المقعد الذي تجلس عليه "مارين" . وإذا بشعاع شمس يدخل من بين الستائر ويهتز على قدميها. ظل شيء هادئ وسعيد

من أبيات شعر "بودلير" تذكرت الفتاة بيتين:

"ليس لكل شيء نظام وجمال و ترف ،

هدوء وعاطفة".

من الصعب وصف هذا المنزل المبني على السعادة .

وكان الحزن والألم لا يتفقان مع السرور المنبثق منه.

مرر عازف البيان يده ببطء على شعر الفتاة الطويل. ملاطفة كلها حنان ، خالية من أية شهوة ؛ بنفس الوداعة التي يلاطف بها "يان" . ساد الصمت والسكون بينهما ، لكن "مارين" كانت تعلم أنها ليست هي التي ينبغي أن تقطعه وفي الواقع ، عاد "جان" إلى سرد قصته: يبدو أنه ليس ما هو أسوأ من هذه الوفاة المأساوية التي لسيدة في العشرين من عمرها، ومع ذلك، هناك ما هو أسوأ.

رفعت "مارين" رأسها نحوه مذهولة.

– لقد شكوا في أنني قتلت زوجتي وموهت بأنها حادثة. ولما تمكنت من إثبات أني لم أغادر المنزل طوال الليل، وأن "أوللا" انصرفت بمفردها في السيارة ، حينئذ اتجهوا إلى اتهامي بتخريب السيارة التي كانت تقودها.أخفى وجهه بين يديه لحظة: ويوم أن دفنت "أوللا" يا "مارين" ، لم أكن واثقا بأنه لن يقبض علي عند خروجي من المدافن.

أطلق ضحكة ملؤها الأسي:

– قد أكون قد شربت لكني لست كفيلا بالإساءة إلى ذبابة. فما بال... اغتيال إنسان....

حولت الفتاة نحوه وجهها المعبر عن الارتباك:

– لكن كيف يشكون فيك؟ أنت!

– عندما غادرت مسكن "جوزفين" ، كنت ثائراً إلى حد أنني لم أكن أدري ما أقول . على ما يبدو أني كنت أهدد بقولي (ربما كنت أردد ذلك) :"إذا تأكدت أنك تخونيني فسأقتلك" . كلمات تقال وقت الثورة وهي بعيدة عن الحقيقة . لم أعد أتذكرها ، لكنها حقيقية بالتأكيد؛ لأن العديد من أصدقائي أكدوا لي ذلك. وما هو يدعو

للضيق أن أحد الخدم سمع هذه الجملة. فما كان منه إلا أنه أبلغ الشرطة بذلك، اعتقاداً منه أنه يقوم بواجبه. ومن المحتمل أنه أراد أن يبدو مهتماً. ولقد سردت لك البقية : ففي الوقت الذي فقدت فيه زوجتي اتهمت بأني اغتلتها. وهو ما دفعني إلى الجنون.... عشت في كابوس لم أخرج منه حتى الآن.... وربما لن أخرج منه. بحركة لا إرادية ، وضعت "مارين" يدها على يد الموسيقار.

أمسك بها ورفعها إلى شفتيه :

– إذا كان هناك من في وسعه انتزاعي منه فهو أنت وحتى أنت ....

لم ينه جملته ، وعاد إلى قصته وكأنه يرغب في الإسراع في التخلص من هذا الكابوس.

والآن ومن البديهي؛ ولأن كل ذلك خطأ، وجب العودة إلى الواقع... وفاة "أوللا" مسببة من حادثة عادية ، لست مسؤولا عنها بالمرة. فما كان من رجال الشرطة – ولم يقتنعوا قط بإدانتي – إلا أن أعلنوا براءتي خلال ثمان وأربعين ساعة، وحينئذ زال عني القلق. لكن هاهو – يا عزيزتي – بعض الشك مازال راسخا في أذهان بعض أصدقائي . ما أشارت لك به "رين" – أبدى ابتسامة ضعيفة– ولقد سمعتها، يثير الشكوك!

أتعلمين : قومي بالوشاية ...؟ لابد أن يتخلف عنها شيء ما"

الوحيد الذي وثق بصدق أقوالي هو رئيس الفرقة "رولان بيرت" . لقد جن عندما سمع أني سوف أتخلى عن البيان. من أجل ذلك أتى في محاولة لإقناعي .

لكنه لم يصل إلى ذلك!

وقد اشتد ارتباكها ، واصلت الفتاة استماعها إلى الرجل الذي تحبه وهو يسرد قصته المأساوية.

أردفت :

– وأنا أيضاً أصدقك "دون جوان" ولا يمكن لمن يعتبرون أنفسهم أصدقاءك أن يشكوا فيك!

– إنك تصدقينني لأنك مازلت شابة يا "مارين" و– مثل كل الشبان

الأطهار –

لم يلمسك الشك بعد . إنك لا تعرفين النفس البشرية وأيضا – أضاف بعد فترة تردد قصيرة – ربما لأنك تحبينني؟

سرت في جسمها قشعريرة . أجابت :

– نعم.

يا إلهي، كم أنها تحبه ! إلى حد أن تمنحه حياتها إذا الزم الأمر. هل ستتمكن ذات يوم من أن تجعله يشعر بقوة هذا الحب الذي تكنه له؟

قبض على يدها التي كانت تنبض في يده مثل طائر قد قبض عليه. لا يا "مارين" ، أنا لم أقتل "أوللا" ؛لكني مع ذلك أعتبر نفسي مسؤولاً عن وفاتها .إن لم أكن قد قمت بهذه التهديدات المرعبة ، لما أخذت السيارة لكي تهرب مني.

أنا لم أغتلها بالتأكيد ، لكن مع ذلك ، أنا الذي قتلتها .! إنها ثورتي التي دفعتها إلى نهاية قدرتها على الاحتمال، وإلا ما كانت خرجت مثل المجنونة في الثالثة صباحاً! علما بانها لا تحب قيادة السيارة في الليل؛ لأنها لا ترى جيداً. نعم مازلت أعترف بأني قتلتها نفسياً!

استعادت "مارين" – رغما عنها– الليلة المأساوية التي قضتها . رأت نفسها في الـ "زودياك" في عرض البحر. هي أيضا اجتازت موتاً نفسياً، وكانت موشكة أن تموت غرقاً . كانت موجة شديدة كفيلة بذلك ولماذا؟ لأنها هربت بغباء من ثورة "جان" .فهمت ما كان قد لحق به من فزع عندما تحقق أنها رحلت مجددة بذلك ما سبق وقامت به زوجته.ولما استنتج أفكارها ، تمتم:

– لو أني لم أجدك وقتئذ ما عدت أنا أيضاً :حادثة غرق ، هذا يحدث كل يوم!

شعرت من نبرة صوته الكسير بأنه صادق .نهض ، أدار لها ظهره. تأكدت الفتاة أنه أراد إخفاء دموعه عنها. ولأن هذا الندم وتأنيب الضمير يلاحقني نهاراً وليلاً عزمت على التخلي عن البيان: لقد أصبحت عاجزاً عن التركيز في العزف إنه أذى لا أستطيع التخلص منه!

لابد للفنان أن يجعل قلبه خالياً من الحزن والحقد. ثم نظر في يأس إلى أنامله الطويلة الرائعة : أنامل عازف بيان.

ليس لها الحق في لمس أصابع البيان وجب أن يكون الشخص نقياً، طاهراً- مثلك- من أجل القيام بالعزف.

ثم التفت نحو الفتاة ؛ نعم في عينيه دموع، وهي لم تخطئ الظن. لقد ارتبكت لدموع هذا الرجل أكثر مما كانت عليه أثناء سرده واعترافه بقصته.

أردف "جان" بصوت منخفض:

- لقد سمعتك وأنت تعزفين بالأمس يا "مارين" أطول مما كنت تتوقعين لقد وصلت بعد انتهاء المقطوعة الأولى . وبما أنك كنت منهمكة في العزف ، لم تشعري بي. ستصبحين عازفة كبيرة مشهورة يا عزيزتي؛ إنك تتمتعين بكل ما يؤهلك لذلك.

ثم ارتبك وهو يقول:

- أعتقد أن هذا هو ما أساء إليّ ؛ أن يكون لك حق العزف ولست أنا؛ حاليا كدت أتحامل عليك ، وكأنك سلبت مني شيئاً ما. وهو ما أثار غضبي!

توقف ، حك رأسه :لم أكن هكذا فيما مضى ، يا "مارين". كنت رجلاً مرحاً، مسروراً ، سعيداً بالحياة، هادئاً.

جلس ثانية واستطرد ما كان يسرده: وعلى الرغم من ذلك يا عزيزتي، أحلف لك : إني سعيد اليوم بأنك عازفة بيانو لأني أحبك.

كانت كلمات المديح الصادرة من فم من تعتبره أكبر عازفي البيان في العالم - في وقت عادي- قادرة على بعث السرور في نفس الفتاة.

هي أيضا كانت قد تخلت عن البيان؛ هي أيضاً كانت قد قالت : إن أصابعها لن تلمس أصابع البيان بعد الآن. وهاهي جملة صغيرة تعيدها إلى حياة الموسيقى. ومع ذلك ، لم تكن لها تلك الفرحة الكبيرة التي كانت - على نحو طبيعي- سوف تسيطر عليها. بالتأكيد ، ابتهجت العازفة الصغيرة إلى حد ما في داخلها ، لكن الفتاة المحبة تغلبت على

العازفة . وكل ما سمعته وما وضعته في الاعتبار ، فهي هذه الكلمة الأخيرة : "أحبك".

ثم ببراءة الطفل سألته:

- لكن كيف تحبني وأنت مازلت تحب "أوللا" ؟ وكان دور "جان" أن ينظر في حيرة إلى هذا الوجه الجميل، الحاني ، المقدم إليه كهدية:

- هل قلت إني مازلت أحبها؟

اعترضت "مارين" في عنف:

- إنك لا تكف عن ترديد ذلك . دون أن تلتفت إلى ما تقوله ! لكن اسمعني : " لم يسبق لك أن أحببت عندما تقابلت معها أحببتها إلى حد الغيرة المجنونة. تزوجتها خلال خمسة عشر يوماً" لست أدري، إن حديثك يدل على حبك لها إذن؟إنك لا تستطيع أن تحب امرأتين في آن واحد!

ثم بقليل من المرارة وحزن عميق أضافت :

- من البديهي هي ماتت و وأنا حية. لكنها - هكذا قالت وهي تكتم نحيباً- هذا لا يعتبر مبرراً: إنك مازلت تحبها . هي يا "دون جوان" ! أنا ، لست كيف أعبر؟ لست سوى نسخة لهذا الحب ، نسخة شاحبة جداً ، إنك تتصور أنك تحبني .لكن

- في الواقع - أنت تحب "أوللا" من خلالي. وأثناء ما كانت "مارين" تنطق بهذه الكلمات كان الألم الذي تعانيه شديداً.

حينئذ مال "جان" عليها ممسكاً بكتفيها:

- فتاة صغيرة لا تعرف شيئاً عن الحياة هكذا أنت يا حبي! فتاة صغيرة غبية على الرغم من ذكائها . لم تفهمي شيئاً إذن بالتأكيد أحببت "أوللا" لأنها جميلة وكنت أرغبها ، لكن زواجنا لم يدم أكثر من عام!

إنها هي التي كنت أعتقد أني أحبها، وأنت من أحب حقاً. لو كانت قد خرجت وقتئذ لكي تلتقي بـ "دون دومينجو" مثلاً، لأصبحت مجنوناً بدافع الغيرة وخاصة بسبب كبريائي المجروحة ! إن الرجل لا يحب أن تفضل زوجته آخر عليه ! لكن كنت لا أفكر في ذلك بعد

مرور شهر.

كنت على يقين بذلك في أعماقي ،وعندما رأيتك يا عزيزتي بهرت، وحينئذ قمت بالمقارنة بينكما وبين حبي لكل منكما.

إذا كنت قد ظهرت بمظهر الوقح كما تصرفت معك في البداية ، كان هذا لكي أحمي نفسي من هذا الحب الذي لحق بي مثل الصاعقة؛ لذلك كنت أدفع به بكل قواي ، كنت أدفع "بك" ! لكن مقاومة الحب مستحيلة، إنه أقوى منا.

توقف "جان" عن الكلام . فهمت "مارين" أنه كان يخشى أن يتفجر توتره ،وأن يزداد تأثره.

ثم بصوت منخفض يكاد لا يسمع استطرد:

– إن ما أعجز عن نسيانه هو نهاية "أوللا" المحزنة . إنها مسؤوليتي وليست هي المسؤولة عن هذه المأساة!

صمت . تلا كلماته المؤلمة صمت ثقيل أشبه ما يكون بسحابة سوداء غلفتهما.

أقبل "جان" على "مارين" بخطى بطيئة وكأنه يخشى أن يقطع صوت قدميه هذا السكون.

ألزمها بأن تنهض وأن تأتي إليه.

كانت الفتاة في حالة استرخاء كاملة، وذراعاها تتدليان إلى جانبها في حالة تراخ تام. ووجهها ذو العينين الواسعتين يعبر عن الثقة الكاملة.

ضمها "جان" إليه ، بين ذراعيه، فشعرت "مارين" بحرارة جسمه، شعرت بأنها ليست الحركة التي قام بها على ظهر المركب ، إنما هي حركة إن دلت فهي تدل على مشاعر الحب.

وضعت الفتاة رأسها على كتف الرجل الذي تحبه بحرارة . وتعمقت عيناها– وهي أشبه بالبحر وقت الغروب ، عندما لا يوجد هبوب رياح– في عينيه . وتلاقت شفتا كل منهما في قبلة كانت بمثابة خاتم هذا الحب.

كم من الوقت استغرق كل ذلك ؟ دقيقة دهراً؟. قد تعجز عن

تحديده.

وإذ فقدت الفتاة تحديد الأشياء التي حولها– وكذلك الوقت– استسلمت للقبلة تماماً.؟ ترك "دون جوان" فمها وبمزيد من الهدوء ، أبعدها عنه :نعم يا "مارين" ليست لي سوى رغبة واحدة: أن تكوني – ومدى حياتي – زوجتي.

ومع ذلك لن أتزوجك، وغداً ساتركك إلى الأبد .

الفصل السادس عشر

كاد الظلام يسود الصالون الكبير .وها هو طعم القبلات والدموع يمتزجان على وجه "مارين" . مرارة وحلاوة.

لقد مرت فترة بعد الظهر في صراع بين هذين الشخصين المحبين. وهاهي تخرج منه مهزومة. علمت "مارين" أنها أشبه بحيوان سقط في فخ. استعادت منظر مراكب الصيد المقبلة على ميناء "كالا فيجيرا" ، حيث كانت قد توجهت في فترة بعد الظهر . كانت على الكوبري شباك مليئة بالأسماك . بعضها يحاول الهرب منها ، وأن يقفز خارج الشبكة التي تسجنه . غير أن قفزاتها كانت تأتي بلا فائدة . وبعد هذا المجهود بفترة قليلة ، تموت.

نهض "دون جوان" من المقعد ذي المسندين الذي كان جالساً عليه.وعندما انتصب بدا طويلاً جداً وهو يتمطى. وها هي الفتاة تعجب به مرة أخرى. وهي حقيقة فهو جميل جداً: قرصان، هكذا فكرت ذات صباح. أو قائد كما وصفته ذات مساء. كان كل ذلك وأكثر أيضاً. إنه ليس فقط هذا السيد الفلورنسي ذا الهيئة الشامخة ، والنظرة المتعالية ، كانت أيضاً وقبل كل شيء هذه النفس التي لفنان – من تحت كل هذه الأقنعة – تبدو على وجهه مانحة إياه روعته ووداعته . وكانت قوة شخصيته تأتي إلى "مارين" في أمواج ترتطم بها وتحطمها.

اقترب من الفتحات الزجاجية وفرد الستائر . كانت ساعة الغسق في

www.rewity.com

الخارج . وإذا بشعاع شمس يقع على الخبيزة الوردية، ويضيئها مثل كشاف.

وكان البحر – وهو مخفي إلى نصفه بأشجار الصنوبر –يبدو في زرقة فاتحة.

اتجه "جان" نحو الفتاة ثم تمتم :

– ما كان ينبغي لي أن آتي إلى "ماجورك" ؛ لأنه . حيثما أمر الآن، لا أخلق إلا التعاسة ؛ وكأني ملعون. ثم ألقى بنفسه في مقعد ذي مسندين في مواجهة "مارين".

لا، ما كان يجب عليّ القيام بذلك. لكني قد أخبرتك يا عزيزتي بأن والدتي أصلا من هذه الجزيرة . كنت قد شيدت هذا المنزل من أجلها، وأقامت فيه عشر سنوات. ولا أستطيع أن أبيعه إن قلبي متعلق به جداً. أن أعود إلى هنا – بالنسبة لي– يعد العودة إلى المنابع ، العودة إلى المنزل. هل تفهمينني؟

أشارت بـ "نعم".

خبأ وجهه في يده . وفي مزيد من الحزن ، قال:

– لست أدري إلى أين أذهب ، إن لم يكن لي هذا المأوى الذي يستقبلني كما كانت تستقبلني ذراعا والدتي. من أجل ذلك أتيت إلى هنا هذا الصيف.

تردد:

– كان يبدو لي أنه سوف يكون أسهل لي وأقل صعوبة على أي حال، أن أنهي حياتي كفنان هنا. وأن يساعدني مسكن الأسرة على احتمال هذه السقطة؛ لذلك كان لابد لي من العثور على سكرتيرة أملي عليها خطابات الانفصال عن كل ارتباط بالعمل كعازف بيان؛ لأني عملت على مقاطعة أكبر حب في حياتي : "البيان" . ولما كنت لا أستطيع إخطار من أتعامل معهم . وإذ أردت نسيان كل شيء ، كان ينبغي أن أبتعد عن هذا العمل الذي كان يجدد يأسي يوماً بعد يوم.

ألقى نظرة إلى "مارين" ، نظرة كأنها ملاطفة لوجه الفتاة ، أو ربما

لجسمها كله.

– وعندما أرسلت إعلاني هذا إلى جريدة الـ "فيجارو" هل كان في وسعي أن أتخيل مرة أخرى أن قدري سيكون في الحسبان؟

في كل مرة ، كنت تكلمينني فيها عن الموسيقى، كان ذلك مثل الحديد الساخن الذي تضعينه علي. كنت أشعر بأنك مقشعرة ، محبة للموسيقى.

كنت لا أعتقد أنك عازفة بيان وخاصة عازفة بيان لها هذه الموهبة . لكن في يوم وبعد الظهر عندما – عند عودتي من البحر– سمعت صوت البيان صادراً من صحن المنزل ، علمت أنه أنتولم أدهش.في هذه الأثناء كانت "مارين" في مواجهته ، تائهة في أفكارها، وهي لا تلمح أنه يدرسها ويتشبع من جمالها. محاولاً عبثاً العثور عندها على ما هو غير كامل.

وضع "دون جوان" يده على يدي الفتاة الموضوعتين على ركبتيها مثل أسلحة عديمة الفائدة. – – عندما تعودين إلى "باريس" ، توجهي إلى "رولان بيرت".

لقد كلمته عنك، إنه في انتظارك . سوف يجعل منك عازفة بيان كبيرة. وبذلك تقل تعاستي، لأني عندما أعلم أن أحداً ما حلّ مكاني ، بالنسبة لي بذلك يتحقق حلم "مارين" .

وما كان يرجوه من أن يغمرها بالسعادة كان يزيد من يأسها . أشارت "لا" برأسها .

– لم يعد يهمني شيء ما غيرك يا "جان".

أمر:

– بلى ، وجب عليك! من أجلك و. من أجلي.

علمت أنه– لأنه يرغب في ذلك– . . . ينبغي لها أن تطيعه ، غير أن قلبها لم يمتلئ بالسرور.

ومرة أخرى عادت إلى ما كانت قد قالته له، اعتقاداً منها في كل مرة أنها سوف تقنعه ؛ لكن كلماتها كانت أشبه بأمواج ترتطم بصخرة ثم تعود.

– "جان" ، الماضي هو الماضي . ألا يمكنك أن تنساه ؟ مادمت أنك

تحبني وأنا أحبك، أمن المستحيل أن نبدأ حياة جديدة؟

كانت تنظر إليه بسذاجة طفل لا يفهم لماذا يرفضون له شيئاً ما.

أطلق زفيراً:

– لقد قلت لك مائة مرة يا "مارين" ؟ أينبغي أن أكرر؟ أنا لم أغتل "أوللا"، لكني قتلتها كمن يطلق الرصاص على شخص، هكذا أنا أيضاً.

إن ما يلاحقني هو تأنيب الضمير، مثل شبح لا أستطيع التخلص منه.

ثم مشيراً إلى البيان : لكي أتخلى عنه، لابد أن يكون غير مرتبط بي. وبحياتك معي يا صغيرتي سوف تكون مشاركتك لي في الجحيم الذي سأعيش فيه ومن فرط حبي لك لن أسمح بجعلك تشتركين معي فيه، وفي اللحظة التي ستبلغ درجة حبي لك أقصاها سوف أفكر في هذه الوفاة التي أعتبر نفسي مسؤولاً عنها. ستكون "أوللا" بيننا دائماً.

ثم وضع "جان" ذراعه حول كتفي الفتاة:

– تعالي معي إلى صحن الدار. كم أن الليل جميل وصاف، والهواء نقي التصقت به وسارت كما في حلم نحو هذا الغسق الهادئ. وفي أشجار الصنوبر كانت الصراصير بحركات أرجلها تصدر موسيقاها التي هي لحن حبها.

فجأة قال "جان" :

– أعطيني شيئا ما يا "مارين" . أعطيني هذه السهرة الأخيرة؛ مثل خطيبين سعيدين وكأنه لا يفصلنا شيء. بذلك، سأحمل معي عند الرحيل هذه الذكرى كأثمن كنز.

ذكرى السعادة التي سوف تساعدني على التغلب– من يدري– على أوهام الماضي السوداء.

استمدت من عيني الرجل الذي يميل عليها الشجاعة لكي تقول:

– نعم

*****

وفيما بعد، بينما كان القمر يصعد، هلال أشبه بقوس في سماء من

القطيفة مع النجوم، قال وهو يبتسم :

– سأصحبك لتناول شراب في مكان في "بالما" لا تعرفينه، لكن بالتأكيد سيعجبك.

فكرت في أنه على حق، إذ إنهما إذا مكثا هنا في صحن المنزل فسوف يستحيل عليهما تمثيل قصة السعادة.

ابتسمت له من كل قلبها:

– سأذهب لتبديل ملابسي. موعدنا هنا بعد ربع ساعة يا " دون جوان" .

*****

جزء باكمله من "بالما" مرتفع، بجواره القلعة، وهو قصر ضخم سلطت عليه أنوار تجعله يبرز في الليل.

وفي منتصف الارتفاع، كانت الطواحين القديمة، التي ترجع قليلاً إلى الماضي.

قالت "مارين" :

لم يسبق لي مشاهدة "بالما" في الليل. إنها جميلة جداً كانت قابعة في السيارة التي يقودها "جان" . شعرها مسترسل مثل شال من الحرير على فستانها الذي بنفس لون عينيها الزرقاوين وهو من الحرير ومفتوح – على الطريقة الصينية – من الجنب. كانت أيضاً قد وضعت المساحيق بقدر خفيف حتى تخفي آثار الدموع، فكانت تبدو في هندامها هذا وزينتها هذه ،سيدة أكثر من أن تكون فتاة صغيرة . لقد أضاف الحزن إلى وجهها لمحة نضوج، بعد أن اختفت منه مظاهر الطفولة . لكن هذا أيضاً كان يجعلها تظهر أكثر جمالاً.

قال "جان دي سيز" :

– سنذهب إلى الطواحين وستشاهدينها عن قرب . لقد أصبح حي الطحانين اليوم، منطقة متعة: مطاعم، مشارب، ملاه لكني سأجعلك تمرين أولاً من ميدان "جوميلا" .

كانا يتسامران معاً كان لم يكن قد حدث شيء، مثل عاشقين سعيدين

www.rewity.com

سيتناولان العشاء معاً. من أجل ذلك كان لابد من التمتع بروح قوية. وكان كل منهما قد وعد الآخر بها. أوقف "دون جوان" الـ مرسيدس البيضاء بالقرب من الطواحين. على بعد بضعة أمتار كانت أماكن المتعة لان الشوارع كانت كلها متشابكة. وكانت "مارين" تجد صعوبة في المشي على البلاط المنتظم لانها كانت تلبس حذاء ذا كعب عال.

لذلك أمسك "جان" بذراعها.

– تعالي. أعتقد أن هذا سوف يعجبك، انظري. وفجاة اكتشفا "بالما" كلها تحت أقدامهما، ومن بعدها الميناء الهادئ والبحر حيث كانت سفينة راسية مزدانة بمصابيح مضاءة.

– انظري. لابد أن يكون الملك قد وصل، حتى توجد هذه السفينة الحربية المضاءة. هكذا جاءت مشاهدة عازف البيان. وعن بعد كانت سفن بيضاء كبيرة في انتظار منتصف الليل، لكي تبحر إلى "برشلونة".

أطلقت الصفارة.

– جميل، اليس كذلك؟

أيدت "مارين" قوله. كانت قد وضعت راسها على كتف "جان" تستعذب في صمت ساعات السعادة هذه التي حصلت عليها، وغداً سيكون للدموع. فهي ترغب في أن تكون سعيدة هذا المساء.

في هدوء – وقد انتزعها من تاملاتها– قادها نحو باب صغير – دفعه وجعل الفتاة تمر أمامه. حينئذ أطلقت صيحة إعجاب. تواجدت في حانة معدة بحيث إن كل مقعد يكون ركنا مع مائدة، وبذلك يكون كل زبون معزولاً عن الآخر. ضوء خافت، موسيقى هادئة، القطيفة الحمراء التي تكسو المقاعد وكذلك الديباج يجعل منه مكاناً متميزاً.

خلف الحانة، كان يقف رجل أنيق يعد كوكتيلا، ترك ما بيده عندما رآهما يدخلان.

قال باللغة الفرنسية لكن بلهجة إنجليزية:

– "دون جوان"! كم أني سعيد برؤيتك! كنت أفكر فيك في هذه الأيام الأخيرة متسائلا عما إذا كنت قد وصلت. أثناء ذلك كان ينظر

إلى "مارين". شعرت بانه فوجئ لكنه اكتفى بأن يحييها دون أن يوجه إليها أي سؤال.

ثم بعد أن تبادل "جان" بعض الكلمات الودية مع الرجل الذي فكرت "مارين" في أنه صاحب الحانة، قادها نحو أريكة، ظهرها للمقاعد الأخرى، وبذلك فهما في عزلة عن الزبائن الذين يثرثرون بصوت منخفض

التفت "جان دي سيز" نحو "مارين" مبتسماً.

سالها:

– كاس "تيوبيبي"؟

وفي لمح البصر انتقلت الفتاة لعدة أيام قبل الآن، عندما كان قد دعاها "جان" للعشاء للمرة الأولى.

انعقد حلقها من التاثر، ولما عجزت عن الكلام أبدت موافقتها بابتسامة.

قال "جان":

– اثنين "زيريس".

غير أن الشخص البريطاني تركه فجاة، أسرع نحو منصة حيث يوجد مكبر صوت.

قال لـ "دون جوان":

المعذرة. لقد حان الموعد!

نظرت إليه "مارين" دون أن تفهم. أمسك الشخص الإنجليزي بالمكبر وقال بلغته الأم:

هنا راديو "ماجورك" "ديك" يتحدث إليكم من المشرب الخاص به.

ضحك "جان" عندما لاحظ أن الفتاة دهشت لذلك. لذلك وضح لها:

في "ماجورك" يوجد عدد كبير من البريطانيين، لذلك يعد لهم الراديو إرسالاً خاصاً.

– ووجدوا أنها فكرة لطيفة بأن يعهدوا بهذا الـ "ديك" المسؤول عن أرقى مشرب في "بالما"، وهو معروف لدى كل البريطانيين الساكنين في الجزيرة،

ومن جانبي اعتقدت أنك ستجدين متعة في مشاهدة هذا الإرسال.

أعلن "ديك" في المكبر:

– خبر كبير! بيننا في هذا المساء الموسيقار الشهير صديقنا "جان دي سيز". سهرة متميزة. وتكريماً له ـ أقدم لكم آخر أسطوانة باسمه: فالس لـ "شوبان".

حينئذ التفت بعض الزبائن نحو مائدة "جان" و"مارين" لكنهم بريطانيون: عندما – رأوا أن بصحبة الموسيقار سيدة– حولوا رؤوسهم في الحال، واكتفوا بالاستماع إلى اللحن الحزين الذي يحكي عن ماضٍ قد آتم دورته.

أردف "جان" في ضيق:

– أوه! لم أتوقع ذلك!

وضعت "مارين" يدها على يده وعيناها اغرورقتا بالدموع فازدادتا جمالاً.

قالت:

– إني في غاية السعادة: سعيدة بالاستماع إليك وسعيدة بوجودك بالقرب مني.

بدوره أمسك عازف البيان بأنامل الفتاة التي استسلمت له. وبصوت منخفض يفيض حباً قال من جديد:

– أحبك يا "مارين". لا تنسي هذا أبداً. مهما حدث.

ولما انتهت الوصلة الأخيرة أعلن الشخص البريطاني:

– هنا راديو "ماجورك"، راديو "ديك". لقد استمعتم إلى.

حضر الجرسون ووضع الكاسين أمام "مارين" و"جان".

تناول هذا الأخير كأسه، ثم متردداً قال:

– يؤسفني أن أربك هذه السهرة، لكن عندي ما أقوله لك وبعد ذلك لن نتكلم عنه أبداً. سأحاول أن أختصر على قدر استطاعتي. أرجو أن تقدمي لي خدمتين ليس في إمكاني أن أطلبهما إلا منك.

التفتت نحوه دهشة، كانت تعتزم الموافقة والعطاء.

قال وهو يبتسم:

– أولا: أطلب منك أن ترعي "بان". لقد خرج لكني واثق بأنه سيعود، من عادته أن يعود. لقد أحبك منذ أن رآك.

ابتسمت الفتاة بدورها! إذا كانت الخدمة، ليست سوى القيام بذلك قالت:

– وأنا أيضا أحبه! أعدك بذلك يا "جان". وهو لن يفارقني أبداً.

ثم أضافت بصوت منخفض، بحيث ألا يسمعها أحد أضافت:

– سننتظرك، كلانا.

عندما تغير وجه "جان" استنتجت "مارين" أنه غير قادر على الكلام. قالت:

– أنت تعلم أنك مهما طلبت مني، فسوف ألبي طلبك فوراً.

– يوجد في نهاية الدهليز حجرة مغلقة دائماً.

قاطعته "مارين"، وقد علت الحمرة وجهها، لما كانت قد قامت به لا إرادياً عندما اكتشفتها. اعترفت له:

– أعرفها.

ودون أن تخفي أي تفصيل سردت له ما حدث، كما لو أنها أرادت بذلك أن يعرف كل شيء عنها: احتمالاتها وغيرتها.

تمتم الموسيقار:

– نعم، إنها حقيقة! لقد توجهت إليها ذات مساء محدثاً نفسي بأنه ينبغي أن أعيد ترتيب هذه الحجرة ثم لم أجد الشجاعة لذلك. هربت لا أجد تعبيراً سوى هذه الكلمة. وفي تعجلي غفلت عن أن أغلق الباب بالمفتاح.

وهذا هو بالضبط يا "مارين" ما أريد أن تقومي بتنفيذه عوضاً عني. أتمنى أن تحرق كل هذه الملابس. ملابس "أوللا"، وأن يُمنح هذا الأثاث. بحيث إني إذا عدت إلى هنا أجد هذه الغرفة فارغة كأنها لم تسكن قبل الآن. "ماجدالينا" ستساعدك على هذا العمل. أعطيها كل ما ترغب فيه

أما "مارين" فكانت تشعر بأن الدماء تتجمد في عروقها ، أثناء ما كان "جان" يكلمها . إن ما يطالبها به عمل غير إنساني . لكنها وعدته .اضطرت إلى النطق بالكلمات التي كان ينتظرها :

– سأنفذ ذلك كما تشاء.

*****

عادت الموسيقى الهادئة مصاحبة للأحاديث .

أشار "جان دي سيز" إلى الخادم :

– اثنين آخرين "تيوبيبي" .

رفع كوبه ببطء وأمعن في النظر إلى الفتاة .

– في صحتك يا "مارين" !

تردد قليلاً وأضاف :

– من أجل عملك ومهنتك !... من أجل سعادتك!

ندت شفتيها في الشراب لكي تجد القدرة على الرد :

– سعادتي، هي أنت يا "جان" .

– إن عمرك تسعة عشر عاماً يا "مارين" والحياة أمامك لكي تسعدي. ستدركين فيما بعد أني كنت على حق.

هزت رأسها :

– لا . أبداً.

ثم في هدوء وبحنان بالغ، استطرد :

– "مارين" . من يدري ربما أنسى في النهاية . خلال أربع سنوات ، خمس سنوات لا أدري . حينئذ لوكنت مازلت حرة فسأتجه نحوك.

كان هذا مجرد أمل يمنحه إياها . لكنها كانت أيضاً كذبة .

وهي تعلم ذلك . كان مستنداً إلى أمرين : أنه لن ينسى تأنيب ضميره وأنها – خلال سنوات معدودات سوف تنساه، لكن بالنسبة لها فهي كانت تعلم – وعن يقين– أنها تحبه، وأنها لن تنساه أبداً.

الفصل السابع عشر

عندما استيقظت "مارين" في صباح اليوم التالي ، خيل إليها وهي مازالت نائمة، أن العالم قد تغير . هل هي حرب، ثورة؟

ثم تذكرت :ليس العالم الذي تغير ، إنما هي : إنها تحب "جان" و"جان" يحبها .

بدت الشمس التي تتخلل الستائر ، أكثر إشراقاً ، أكثر دفئاً عن المعتاد، إن الصراصير تصدر أصواتاً أكثر، وإن تغريد العصافير أكثر عذوبة .

"إنه" ، يحبها . هذا وحده كاف ، فهي لا ترغب في ذكرى سواها .

كانت تجاهد لكيلا تخرج تماما من نومها حتى لا تجد نفسها في مواجهة الوجه القاتم لسعادتها .قرع أحدهم الباب . دون أن تفتح عينيها، صاحت :

– ادخل!...

ظهرت "ماجدالينا" وفي نفس الوقت رائحة القهوة باللبن والفطيرة والخبز المحمص.

– بيونوس دياس آنستي.

كان لابد لـ "مارين" أن تستيقظ ، أن تترك حلمها الذهبي وأن تواجه الحقيقة . أطلقت زفيراً وجلست في هدوء على سريرها .

وضعت لها الماجوركية الصينية على ركبتيها، لكنها لم تكن مبتسمة كعادتها ، بل كانت تبدو مشغولة ، جادة .

أشارت إلى ظرف موضوع بالقرب من قدح الـ "كورتادو" وهي القهوة باللبن الإسبانية .

– بارا فوس . (هذا لك)

وانصرفت ، بينما الفتاة أمسكت بالظرف وفتحته بيد مرتجفة.

وجدت بداخله بضعة سطور فقط

– ساكون قد رحلت عندما تستيقظين . سابقى على ذكرى مساء أمس . وكما أخبرتك ، ساستقل طائرة الظهر إلى "باريس" . لقد وعدتني بألا تأتي إلى المطار، وأحلف لك بأني سأفي بوعدي . إذ إن

لقاءنا سوف يتسبب لنا في مزيد من الألم .سأبقى في "فرنسا" أربعا وعشرين ساعة فقط: الوقت الكافي لتدبير شؤوني .

ثم ، سارحل إلى "إفريقيا" . لان لي فيها بعض الأصدقاء .

الوداع يا حبي . أحبك ولأني أحبك ، أطلب منك أن تنسيني.

"جان"

سقط الخطاب من يد "مارين" . أبعدت عنها الصينية ، لم تتمكن من تناول قضمة أو حتى نقطة قهوة.

بطريقة آلية نهضت الفتاة واتجهت إلى الحمام . لم تكن لديها سوى فكرة واحدة : الوفاء بما وعدت به، ثم ترحل فوراً بعد ذلك.

ليت "يان" لا يستغرق عشرة أيام حتى يعود! أن تسكن هذا المنزل حيث كل شيء يتكلم

عن الرجل الذي تحبه ، كان هذا يبدو فوق احتمالها .

أخذت حماما ساخناً جداً، ثم بارداً جداً.

يعمل الماء بنزوله على جسمها على منحها راحة كما أنه ساعدها على احتمال ألمها، وعلى احتمال ذاتها.

"على أي حال– قالت محدثة نفسها ، سأقوم في الحال بتنفيذ أصعب عمل: جعل حجرة "أوللا" فارغة تماماً

إذا انتظرت أعتقد أني لن أجد الشجاعة اللازمة لذلك".

وما إن ارتدت جينزا وشميزيه وضمت شعرها حتى اتجهت الفتاة نحو الحجرات المشتركة . كانت في حاجة إلى "ماجدالينا" لمعاونتها في هذا العمل الشاق.

كانت السيدة جالسة أمام قدح كبير من القهوة ، في مواجهة زوجها. لا الواحد ولا الآخر كان قد لمس سلة الخبز الموضوعة على المائدة .

كانا مكدرين

بدأ "أنطونيو"

– "دون جوان" .

ثم توقف. كان لا يجد كلمات بالإسبانية يعبر بها عن حزنه . أشار

إلى "ماجدالينا" . حتى تكمل..

وضحت هذه الأخيرة للفتاة أن "دون جوان" كان قد قال لهما إنه مضطر إلى التغيب لفترة طويلة، لسنوات بلا شك ؛ ربما أيضا أنه سوف يبيع الـ "فينكا" أي الدار وأملاكه ، وأنه أيضاً طلب منهما أن يمكثا به في الانتظار من أجل حراسته والعناية به. وأنهما قبلا ذلك بالتأكيد.

كانت "ماجدالينا" قد قامت بسرد ذلك بلا توقف . ثم توقفت بضع ثوان لكي تفكر إذا كانت قد نسيت شيئاً ما. ثم استطردت : كان "دون جوان" قد قال إن "دونا مارين" هنا في منزلها، وإنها ستبقى إلى أن ترغب في الرحيل وإن عليهما أن يطيعاها.

وكان "أنطونيو" يحك رأسه تأييدا لقول زوجته . ثم قال باللهجة الماجوركية إن هذا هو بالضبط ما طالبهما السيد به وإنه هو وزوجته سينفذان رغباته.

ثم ألقت "ماجدالينا" إلى "مارين" بنظرة من يرغب في الاستجواب، لكنها اكتفت بقولها:

– "دون جوان" شخص محب طيب!

تذكرت "مارين" أنها نفس الكلمات التي استخدمتها منذ البداية . انقبض قلبها . لكنها رفضت الاستسلام إلى التأثر. فيما بعد – بعد أن تنهي كل ما هو مطلوب منها تنفيذه – في إمكانها أن تبكي ، تنتحب، تنعي كل يأسها . لكن الآن عليها القيام بما وعدت به.

التفتت نحو "ماجدالينا" وقالت لها إن عليهما تفريغ حجرة . ترددت ثم فكرت في أنه من الأفضل الاعتراف لها بجزء من الحقيقة عن أن تترك للزوجين فرصة للاحتمالات أو السعي إلى معرفة الحقيقة بالثرثرة مع البعض أو الآخرين.

شرحت باختصار أن "دون جوان" كان متزوجاً ، وأنه فقد زوجته العام الماضي . وأنه سافر لكي ينسى حزنه وأن حجرة هذه الزوجة التي يطالب برفع كل ما بها .

"طوعاً" تمتمت "ماجدالينا" دون أن توجه أي سؤال ؛كان ما بدا

عليها من الحزن يتكلم عوضاً عنها.

أما "أنطونيو" فقد تمتم جملة بلهجة ماجوركية لم تفهمها الفتاة.

سألت مارين "ماجداليناً":

– ماذا يقول؟

علت الحمرة وجه الزوجة، لكنها ابتسمت لـ "مارين".

ترجمت بالإسبانية:

– قال. ليس حسناً أن يعيش الرجل بمفرده، وأن "دون جوان" بدلاً من أن يرحل للخارج، من الأفضل أن يبقى هنا، وأن يتزوجك!

*****

كان "جان دي سيز" قد وضع المفتاح في الباب قبل أن يرحل. وقفت السيدتان على عتبة الباب تنظران إلى الحجرة، ولا تجرؤان على دخولها.

ثم تلت "ماجداليناً" صلاة من أجل روح الراحلة ودخلت ومن بعدها "مارين". بسرعتها المألوفة ونشاطها رتبت السيدة الحجرة حتى استعادت مظهرها غير المعتاد.

أخبرتها "مارين" بأن "دون جوان" قد طالبها بحرق كل ما يتعلق بزوجته. لكن إذا كان "أنطونيو" وزوجته يرغبان في أخذ مازاد على ذلك، فلهما الحق في ذلك.

دهشت "ماجداليناً" في بادئ الأمر ثم نظرت إلى الأثاث مبهورة. شبكت يديها علامة إعجاب وشكر.

ثم على الطريقة الإسبانية، ربتت كتف الفتاة مع منحها ابتسامة لطيفة. لاشك في أنها– دون أن تنطق بذلك– كانت تفكر فيما كان زوجها يفكر فيه.

لقد أفادت الفتاة هذه الصداقة الحارة.

بعد أن طوت "ماجداليناً" الملاءات والكوفرتات، اتجهت إلى الدواليب. فكرت "مارين" في أنه من الأفضل أن تهتم هي بالأشياء المتناثرة على التسريحة. كانت واثقة بأن "جان" كان يتألم لرؤية أيد غريبة تلمس علب

الكريم، وقنينات العطور التي كانت تمسك بها "أوللا".

وعندما تأهبت للجلوس إذا بـ "مواء" يجعلها تلتفت. إنه "يان" رافعا ذيله على شكل علامة استفهام. ولما مالت "مارين" لكي تلاطفه قفز على التسريحة. سرت الفتاة لعودة القط وحدثت نفسها بأنه ينبغي أن تحبسه في حجرتها لئلا يفكر في الهرب مرة أخرى.

بذلك– هكذا فكرت في مزيج الطمأنينة والأسى – سأتمكن من الرحيل هذا المساء أوغداً على الأكثر..

جلس القط وسط أدوات الزينة يقر ويحك رأسه على يد صديقته.

في قمة الابتهاج كان القط يلوح بذيله الرائع في عصبية ماسحاً كل ما يقابله؛ لذلك سقط منديل خفيف على الأرض، وفي نفس الوقت سقط ظرف أيضاً. ارتبكت "مارين" ومالت لكي تأخذه. قرأت: لـ "جان".

وقفت الفتاة مرتجفة من التأثر، تنظر إلى هذه الرسالة.

لابد أنها "أوللا" التي تركتها. ترى ماذا كانت كلماتها الأخيرة التي وجهتها إلى زوجها قبل أن تغادر الحجرة؟ وما معنى هذا الخطاب المحرر منذ عام؟. وغير دهشة في أن "جان دي سيز" لم يجده. لأنه قال لـ "مارين" إنه لم يجد الشجاعة الكافية للعودة إلى حجرة زوجته بعد وفاتها. أكثر من ذلك لابد أنه كان مخفياً في المنديل. لأن "مارين" عندما دخلت أول مرة إلى الحجرة لم تلاحظه.

– وفجأة – وكان أحداً همس لها في أذنها، علمت أنه ينبغي لـ "جان" أن يقرأ حتما هذا الخطاب قبل الرحيل.

ومهما كان بالخطاب ومهما قال، حتى لو كان أسوأ من الحقيقة الحالية، يجب أن يأخذه وأن يعلم ما بداخله. كما أن هذا يعتبر أيضاً واجباً إزاء تلك التي رحلت.

*****

قادت "مارين" السيارة بسرعة على الطريق المؤدي إلى المطار. عندما قفزت مثل المجنونة، في السيارة الـ "فولفو"، أعلنت ساعتها الساعة

١١,١٠ . كان أمامها أقل من ساعة للوصول إلى المطار قبل الإقلاع.

كان عليها أن تقطع أربعين كيلو متراً.

قلقت "مارين" عندما وجدت أنها احتُجزت ضمن صف سيارات على الشارع الكبير الذي يحاذي الميناء . كانت تشعر كأن يداً تقبض على حلقها وتخنقها . إذا وصلت متأخرة ، فلن تجد وسيلة للقاء "جان" . كانت تجهل أين ينزل في "باريس" وإلى أين نية الرحيل بعد ذلك. "إفريقيا" واسعة جداً!

السيارات لا تتقدم والكاتدرائية – هذه الكاتدرائية التي كانت أول ما شاهدته عند وصولها – بدت لها بعيدة جداً. وهي بالنسبة للفتاة أول هدف : تقريباً بعد أن تتخطاها يبدأ منها الطريق المؤدي إلى المطار وهو يقع على بعد تسعة كيلو مترات من "بالما" .

وأخيراً انطلقت السيارات ، والفتاة أطلقت زفير ارتياح. نظرت إلى ساعة السيارة : إنها تسجل الثانية عشرة إلا خمساً وعشرين دقيقة. مع قليل من الحظ، ستصل في الوقت المناسب. توقف آخر للسيارات في الإشارة الحمراء عند شارع "بريمو دي ريفيرا" . كان الشرطي الذي ينظم المرور يسمح بالمرور للسيارات الآتية في الاتجاه المضاد.

الثانية عشرة إلا واحداً وعشرين دقيقة، إلا عشرين ، إلا تسع عشرة. وكان عقرب الدقائق يدور على قلب "مارين" .

وأخيراً كان دورها في المرور . ولحسن الحظ ، سمحت لها سهولة المرور بالقيادة بسرعة.

مائة، مائة وعشرة .. وعشرون. وثلاثون. لقد بلغت الـ "فولفو" أقصى سرعتها.

وعندما توقفت أمام مبنى المطار كانت الساعة تعلن الثانية عشرة إلا خمس دقائق. غير مبالية بالشرطي الذي يطلق لها صفيراً منذراً إياها بعدم التوقف لأنه ممنوع، وأنه ينبغي لها الذهاب إلى مقر انتظار السيارات ، دخلت الفتاة إلى المطار ؛ أن تحرر لها مخالفة ، فهو أقل ما يضايقها.

سمع صوت ينادي باللغة الإسبانية : المسافرون المتجهون إلى "بروكسل" . وصفوف المسافرين كانت في الانتظار أمام الشبابيك لتسجيل أمتعتهم ؛ آخرون اتجهوا إلى المشرب في انتظار الإقلاع.

اتجهت "مارين" نحو مضيفة ، وسألتها:

– الرحلة إلى "باريس" : "بور فيفور"؟

أشارت لها الفتاة بأنه إلى اليسار.

– رحلات دولية.

ثم نظرت إلى ساعتها وانتفضت قليلاً:

– أسرعي، إنها ساعة الإقلاع!

وفي الواقع ، لقد أعلن نفس الصوت ولكن باللغة الفرنسية:

رحلة ٤١٤ إلى "باريس" ، الإقلاع حالياً. دفعت الفتاة بالناس الذين في طريقها إلى الباب الكبير المؤدي إلى القاعة حيث ينتظر المسافرون الرحيل للخارج.

وإذا بصوت الشرطي يناديها:

– تذكرتك وجواز سفرك "آنستي"

التفتت نحوه، لاهثة ، حلقها معقود من القلق.

– لن أسافر، إنما أرغب في مقابلة شخص سيأخذ الطائرة إلى "باريس" قبل إقلاعها.

أشار الرجل برأسه "لا" . ثم أتى أحد زملائه وقطع الطريق على "مارين" التي كانت على الرغم من ذلك تحاول دخول القاعة.

قال لها بالفرنسية:

– لقد وضح لك زميلي أنه ممنوع . إنك بذلك تعرضين نفسك للذهاب إلى قسم الشرطة "آنستي" .

ارتجفت "مارين" بكل أطرافها ؛ رفعت إلى الشرطي عينين ممتلئتين بالأسى إلى حد جعل هذا الأخير ينظر إليها دهشاً.

قالت:

– أتوسل إليك ، إذا كنت لا أستطيع الدخول ، إذن اطلب لي السيد

"جان دي سيز" . معي رسالة ضرورية لابد لي أن أسلمها له. أمر خطير جداً.

تردد الشرطي عدة ثوان، نظر مرة أخرى إلى وجه الفتاة ليجده مرتبكاً:

– امكثي هنا سارى ما يمكنني القيام به!

دخل القاعة وخرج تقريباً في الحال.

– مستحيل . لقد صعد جميع المسافرين إلى الطائرة التي ستقلع الآن.

تمتمت "مارين" بصوت يائس:

– بعد دقيقة تقريباً!

شعرت بساقيها تخوران تحتها.

سقطت الدموع من عينيها. تمالكت نفسها لكي لا تنتحب، تمالكت نفسها. لابد لها أن تقابل "جان". وأن تعطيه هذا الخطاب . ومادامت الطائرة لم تقلع ، أمامها فرصة . توسلت :

– دعني أمرّ، أتوجه إلى الطائرة . وجب أن أقابل السيد "جان دي سيز" . أنا سكرتيرته.

أشار الشرطي برأسه بـ "لا" . لكن "مارين" شعرت بأنه متضايق لعدم إمكانه مساعدتها. لذلك أكدت:

– إنها مسألة حياة أو موت!

ثم كررت الكلام بالإسبانية:

– ميوريتي . ميوريتي.

اقترب شرطي آخر من الشرطي الأول ناظراً باهتمام لهذه الفتاة الشاحبة ، التي تبدو موشكة أن يغشى عليها. تبادلا نظرة تحمل الكثير من المعاني : إن الفتاة في يأسها تبدو أكثر جمالاً.

همس الأخير إلى زميله ببعض الكلمات باللغة الإسبانية.

فوافق في الحال.

كانت "مارين" تشعر– في يأسها – بأن الأرض تكاد تنشق وتبتلعها.

وإذا بيد تمسك بذراعها في مودة وحزم . وقفت – مذهولة– تنظر إلى

الشرطي الذي يحدثها.

ببطء ، قادها نحو مقعد ذي مسندين ، أجلسها وكرر:

– إننا نعمل المستحيل . لقد أبلغ زميلي برج المراقبة . سوف نخطر قائد الطائرة أنه ينبغي للسيد "دي سيز" أن ينزل من الطائرة . لأنه مطلوب من أجل أمر خطير!

نظر إلى الفتاة:

– هل حقاً الأمر خطير يا آنسة؟

اضطرت الفتاة إلى الإشارة بـ "نعم" ، لأنها عجزت عن الكلام.

– إذاً – هكذا قال الشرطي – نأمل أن تكون الطائرة لم تقلع بعد ، لأنها لن تعود من أجل راكب.

ثم بحركة حماية ، وضع يده على كتف الفتاة ، وقال:

– تشجعي يا آنسة!

هاهي "مارين" الآن ممزقة بين الأمل واليأس.

وإذا بـ "جرسون" في جاكيت أبيض يقبل إليها حاملاً صينية عليها قدح قهوة ، مخبراً إياها بأن الشرطي هو الذي أوصاه بذلك.

ولما مدت له "مارين" يدها بورقة مالية ، رفض : مدفوع ! كان لهذه الحركة التي تدل على اللطف الماجوركي، أثر طيب عند الفتاة

ندت شفتيها بالسائل الساخن الذي اعتبرته إكسير الحياة:

أفادت القهوة الثقيلة في انتعاشها في الحال.

وما– هو أكثر من ذلك– أعادها إلى الحقيقة هو أنها رأت "جان" أمامها..

لقد أتى الموسيقار بخطى سريعة تتقدمه مضيفة جوية ، وهو يبحث بنظره عن "مارين".

ها هو بالقرب منها مرتبكاً ، قائلاً بصوت قلق:

– ما الذي يحدث . ما الذي يحدث؟ لابد أن يكون أمراً خطيراً الذي دفعك إلى المجيء إلى هنا.

ثم أضاف:

www.rewity.com

– وما الذي يشكل خطورة الآن مادام أن الأمر قد تكشف كله لك؟

تمتمت:

– سامحني يا "جان" . لقد اضطررت إلى التخلي عن عهدي بالا آتي إلى المطار . لكن لم يكن أمامي تصرف آخر، ومدت له يدها بالخطاب.

– لقد عثرت على ذلك على تسريحة "أوللا" . واعتقدت أنه ينبغي لك أن تقرأه حتما قبل رحيلك.

– تناول "جان" الظرف : في حيرته ، نظر إليها ، أدار الظرف في يده وهو لا يجرؤ على فتحه . من حولهما ، كان المسافرون يراقبونهما ، يشعرون بانه لابد أن يكون في الأمر واقعة ما. ولقد عرف البعض من بينهم عازف البيان المشهور.

تمتم "جان"

– ليتنا لا نبقى هنا. على أي حال لقد أقلعت طائرتي الآن. هيا نخرج.

شعرت "مارين" أن "دون جوان" يقوم بذلك لكي يؤخر اللحظة التي سيفتح فيها هذا المظروف ، الذي كان يخيفه ويحرق له أصابعه في آن واحد.

اجتازا أرض المطار، غير مبالين بشيء، في عالم آخر . وفجأة استنتجت "مارين" فزعة ما فكر فيه "جان" .

" عسى ألا تكون "أوللا" – في خطابها هذا – تخبره بأنها ستنتحر"

*****

صعدا إلى الـ "فولفو" ، حتى يكونا على انفراد

تمتمت "مارين"

– هل ماكان ينبغي لي أن أحضره؟

ممسكاً بالظرف ، أجابها "جان" بصوت أجش:

– بلى لقد أحسنت الأبد وأن هذا الخطاب يحتوي على الحقيقة ؛ إذا كانت "أوللا" كانت قد كتبت لي قبل رحيلها ، هذا يفيد بأنها لم تكن لها نية العودة.

تبادلا النظرات في صمت . وكلاهما يفكر في نفس الشيء.

ثم فتح عازف البيان الظرف وبدأ يقرأ.

في قلقها ، كانت "مارين" في هذه الأثناء تنظر إلى وجه "جان" ؛ لكي تكتشف فيه ما بداخل الخطاب.

لكن ، بينما كانت تتوقع قراءة الفزع ، الندم واليأس على وجه "جان" ، كم كانت دهشتها عندما وجدت أن ملامحه تعبر عن عكس كل ذلك. فهي تعبر عن مفاجأة عميقة و.

إنها لا تحلم . لقد عاد هذا الوجه الشاحب من الخوف إلى لونه الطبيعي.

ما الذي يحدث؟

حول عازف البيان وجهه نحو "مارين" :

– اقرئي في إمكانك إنه من حقك.

ولما ترددت ، استطرد:

– اقرئي يا "مارين" لكن بصوت عال من فضلك ، حتى أثق بأني لا أحلم !

حينئذ بدأت الفتاة:

"جان" ، لقد كنت على حق حالياً. نعم ، إنها حقيقة– وهانا أطلب منك العفو– إني أخدعك مع "دون دومينجو" . اعتقدت أني أحبك لكني كنت مخطئة . وهانا أعلم اليوم أنه هو الرجل الذي أحبه. إنه ثري جداً ، أكثر منك بكثير . وسيجعل مني زوجة معززة . لكن معك كنت لن أحتمل هذه الساعات من العزف على البيان التي ستدفع بي إلى الجنون! أثناء قراءتك لهذا الخطاب ساكون بالقرب منه؛ لأني سألحق به . إنه في انتظاري . الوداع.

وبذلك لم تترك "أوللا" المنزل بسبب ثورة "جان" كما اعتقد . فهي لم تهرب من عنف زوجها. بل كانت قد خرجت لكي تلحق بـ "الآخر" . وكان أن لاقت مصيرها "الموت" أثناء ذهابها إليه.

"مارين" تمتمت:

– "جان" إذاً لم تكن أنت المسؤول.

هاهو الأمل يشرق فيها ، مثل فجر يوم رائع. "جان دي سيز" لم يجبها . لقد حرك موتور السيارة.

– سأخبرك بحقيقة مشاعري ، في المنزل . وفي المنزل فقط.

*****

في اتجاه عكسي هاهي الفتاة تقطع الطريق الذي كان قد بدا لها جهنمياً، والذي يبدو لها حالياً الطريق الذي يقودها إلى الفردوس.

وفور توقف السيارة. جذب "جان" "مارين" من يدها، وقادها وهو يجري إلى الصالون.

تبعته ، غير قادرة وغير راغبة في الهرب من هذه اليد التي تمسك بها بقوة، بحنان ، لكن دون أن تدرك توقف عازف البيان أمام البيان الكبير.

وأخيراً ترك يد الفتاة ، رفع الغطاء . وقد أشرق وجهه من السعادة.

التفت نحو الفتاة وقال في بساطة:

– معي يا "مارين".

فهمت وجلست بالقرب منه؛ وعزفا معاً في اتحاد – بأربع أيدٍ – فالس لـ "شوبان" . وهاهما عادا معاً إلى الموسيقى التي كان كل واحد منهما قد أعلن رفضه لها.

كانت الأنغام الأخيرة ترن في الحجرة عندما ضم "جان" "مارين" إليه بين ذراعيه.

استسلمت ؛ إذ إنها علمت أنه ليس هناك ما تخشاه في هذه المرة؛ لأنه قال:

– حبي إلى مدى الحياة إلى الأبد.

وكانت بعد ذلك القبلة التي تربط الواحد منهما بالآخر هذه المرة ، هي قبلة خطبتهما.

تمّت بعون الله